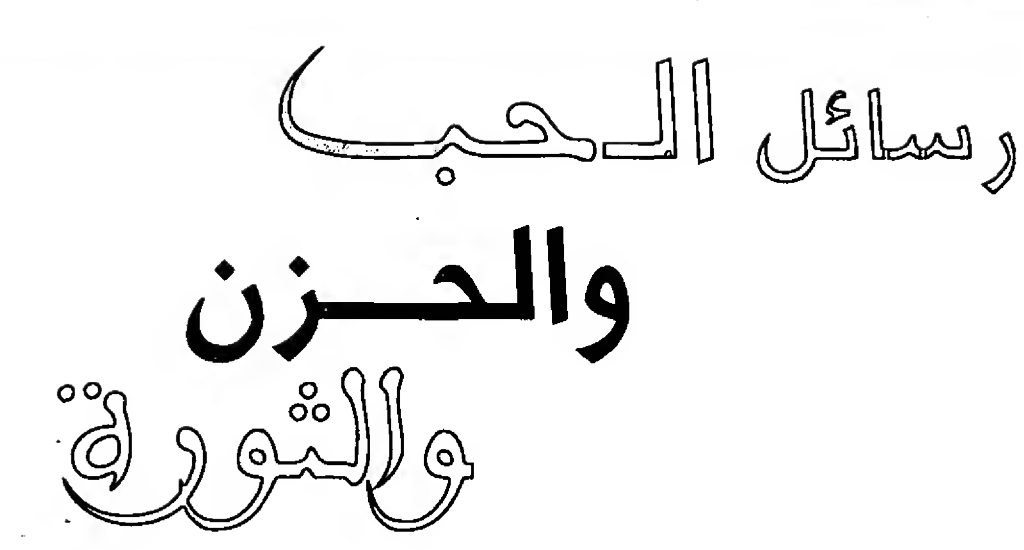
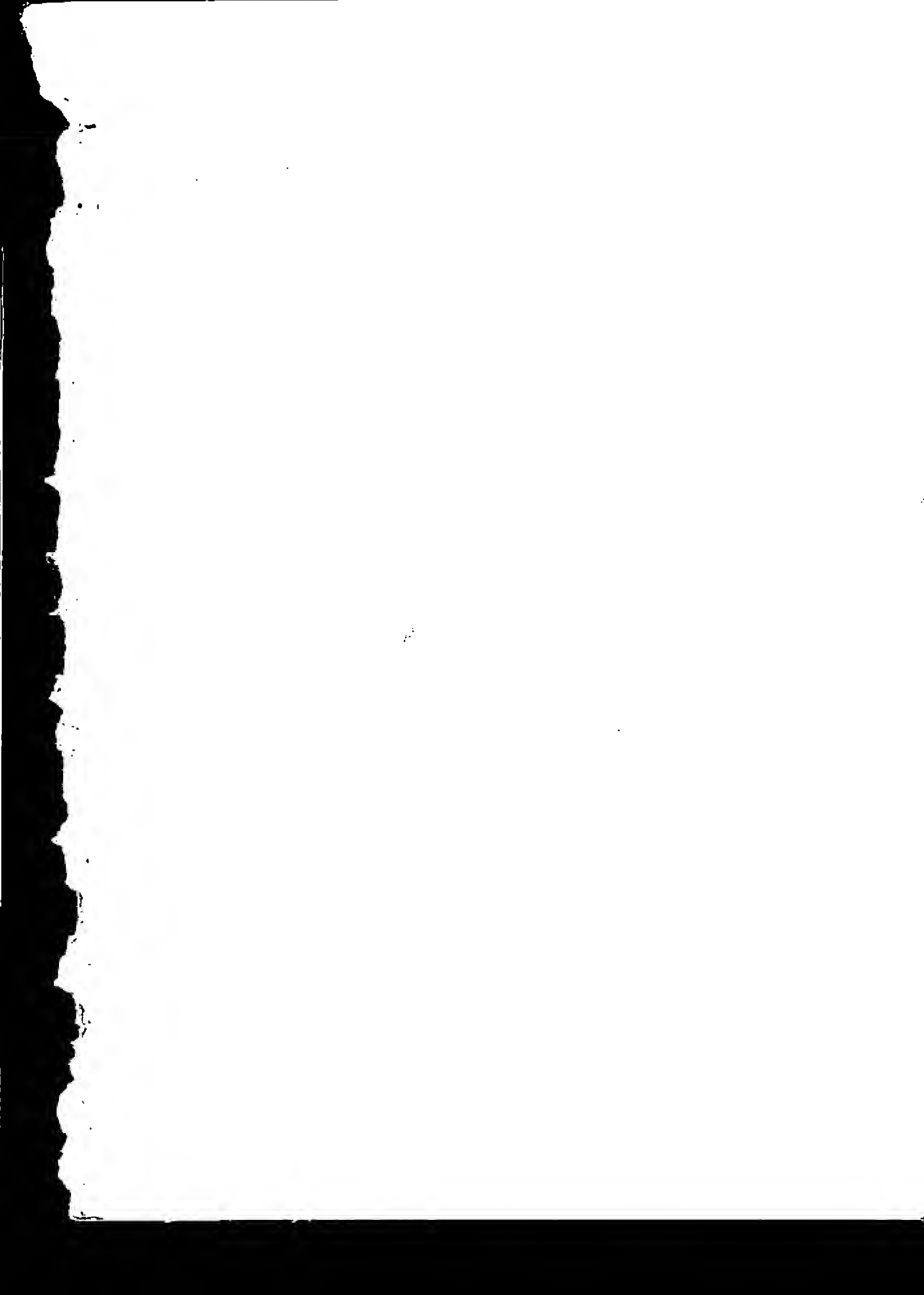
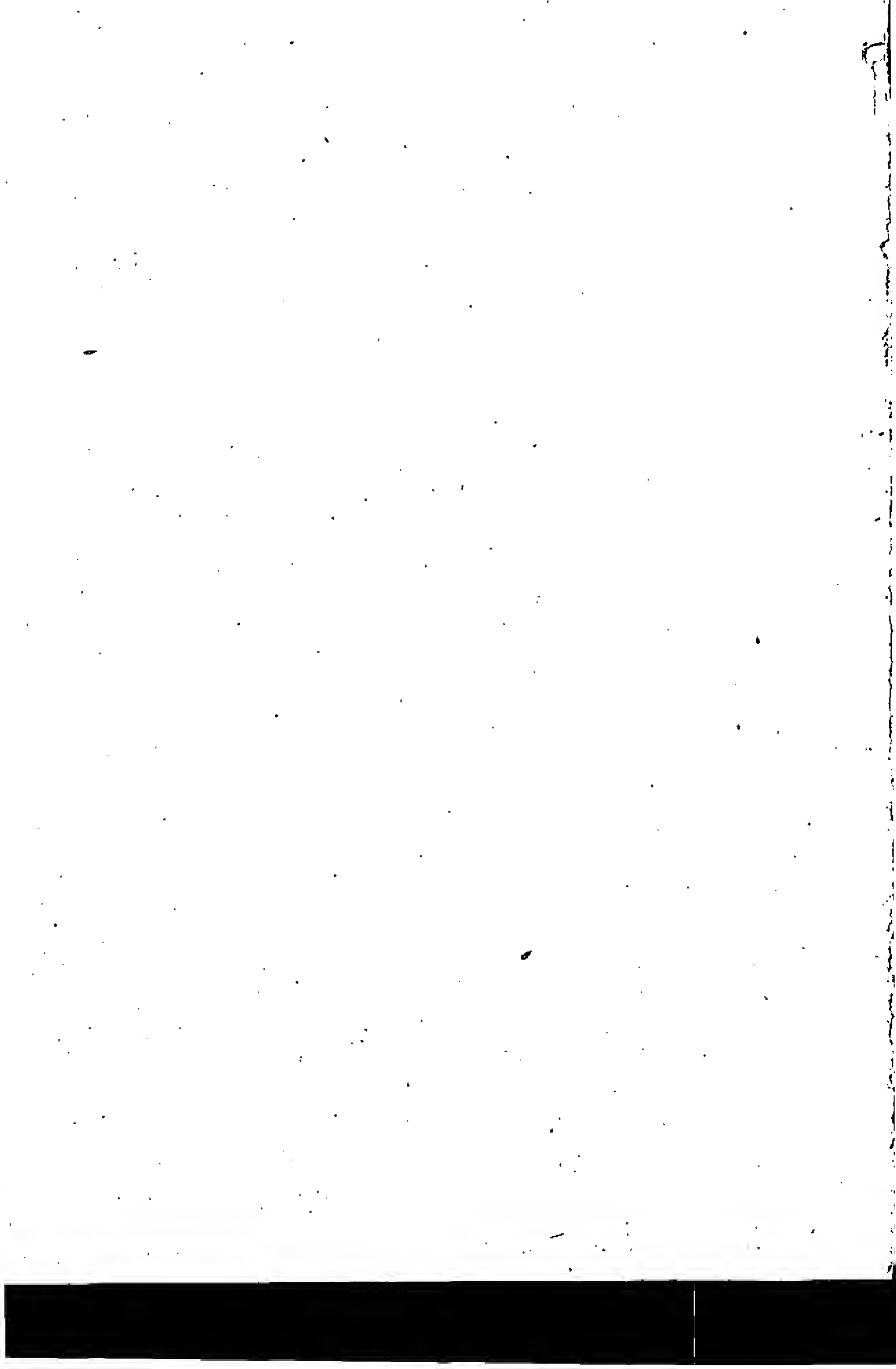
د. عبد العظيم أنيس



رسائل الحب والحزن والثورة

الهيئة المصرية العامة للكتاب





أنيس، عبد العظيم.

رسائل الحب والحزن والثورة/ عبد العظيم أنيس. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢.

١٩٢ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك ٠ ١٢١ ٢٠٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ أنيس، عبد العظيم ـ المذكرات.

٢ ـ مصر ـ تاريخ.

٣ ـ مصر ـ الأحوال السياسية.

رقم الإيداع بدار الكتب٣٢٢٣/ ٢٠١٢

I. S. B. N 978 - 977 - 207 -121 - 0

ديوى٩٢٠

رســـائل
الحـــب والحـــزن
والثـــــورة

د. عبدالعظيم أنيس



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : رسائل
الحب والحزن والثورة
اسم المؤلف : د. عبد العظيم أنيس

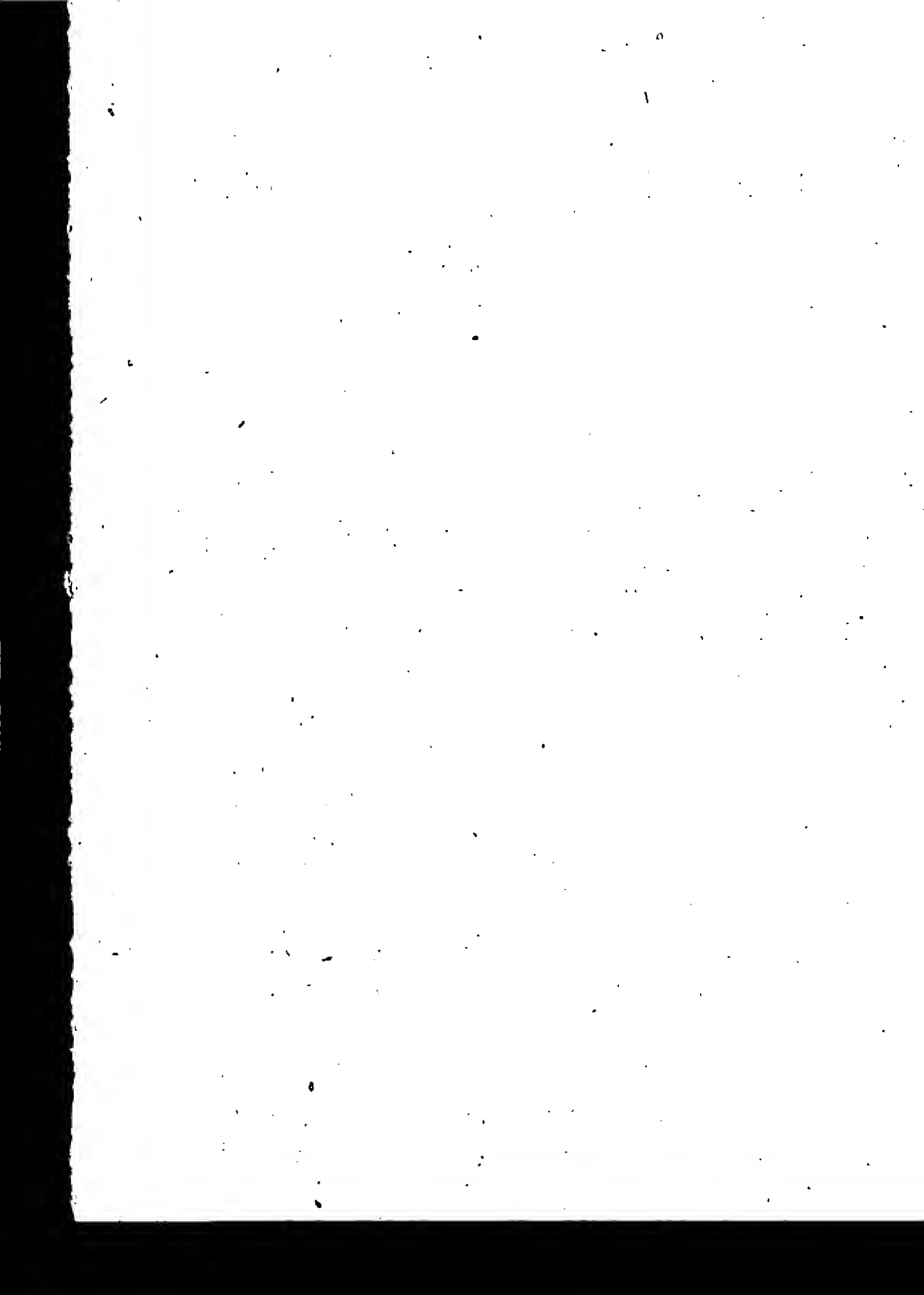
الإخراج الفنى : صبرى عبد الواحد
تصميم الغلاف : هبة حلمى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
E-mail: info@gebo.gov.eg

إلى ذكرى عايدة ثابت

التى كانت مثالا فى التضحية

فى حياتها وموتها



وعندما تسمو إلى الإله

وتلتقى الأكف والشفاه

أسكب فى راحتيك لوعتى

ضراعتى..

شفاعتى إليك يا غرامى طفولتى

ولهفتى على طفولتك!

....

حبيبتى ....

لو كانت الدموع تمسح الجراح

لو كان لليل فم وباح

لو أهدر الصباح دماء الفراق..

لو كلم الطفلُ فى عيونى الطفلَ فى عيونك

لو تهت فى ظنونك....

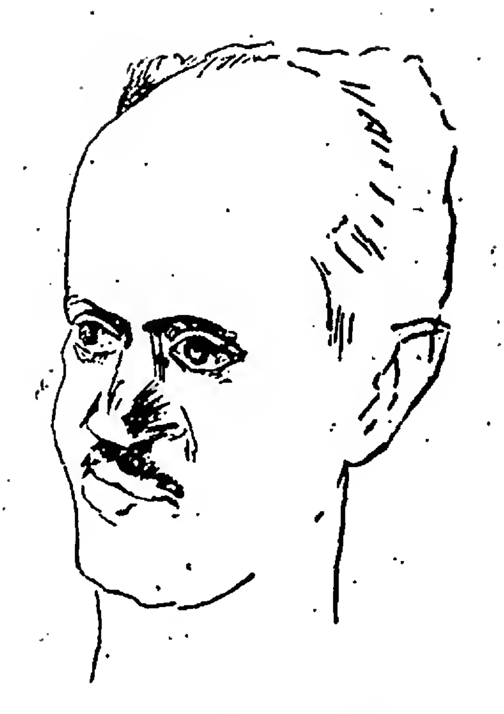
لو قبلت راحتى على الحنان راحتك

لكننى بالليل أمسك النجوم

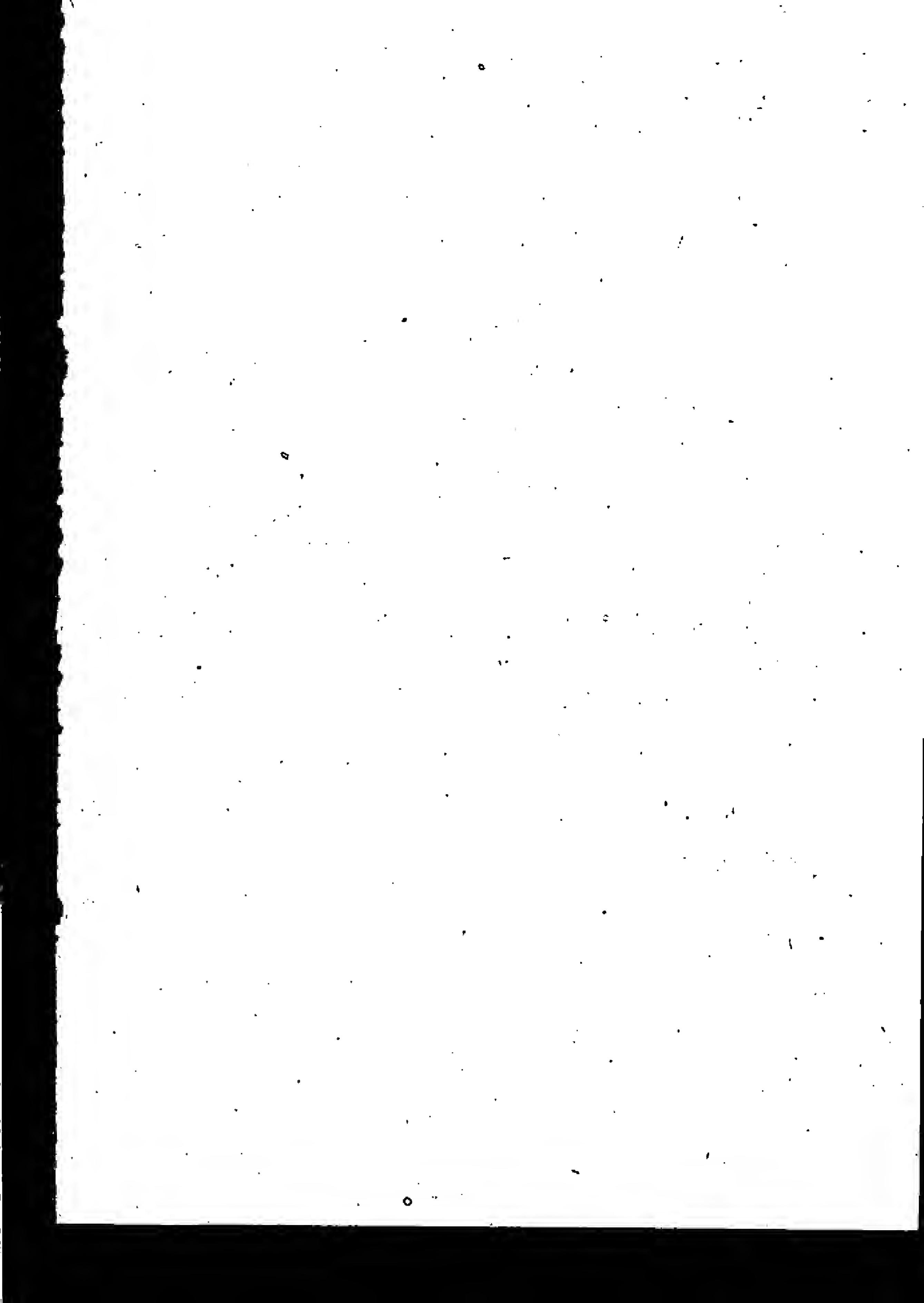
وأحصد الأشواك بالنهار والهموم

لأننى وحيد..

(من قصيدة «الطائر الحزين»، يناير سنة ١٩٦٤)



بورتريه للدكتور عبدالعظيم أنيس،
رسمه الفنان داود عزيز
داخل المعتقل فى ١٦ مايو ١٩٦٢



مقدمة

هذا الكتاب ليس إلا مجموعة من الرسائل الحقيقية التى جرت بينى وبين زوجتى.. عايدة ثابت الصحفية المصرية، خلال فترة عصيبة من تاريخ مصر الحديث، وهى فترة كانت شديدة القسوة علينا نحن الاثنين.. إذ لم يكن قد مضى على زواجنا أكثر من شهرين عندما بدأت رياح العواصف العاتية!

أما الفترة فهى السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٤، وبالدقة من أول يناير سنة ١٩٥٩ إلى ٤ أبريل سنة ١٩٦٤.. بدأت باعتقالى كواحد من مئات الشيوعيين المصريين الذين اعتقلوا فجر أول يناير، وكنت قد تزوجت عايدة ثابت فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٨ بعد قصة حب دامت عدة شهور قبل الزواج، وعشنا نحو شهرين من أسعد أيام حياتنا، حتى فاجأتنا عاصفة الإعتقالات فوضعت حدا لكثير من أحلامنا وآمالنا..!!

فصلت عايدة ثابت من عملها فى صحيفة «المساء» وإن لم تعتقل، كما فصلت أنا أيضا أثر اعتقالى.. وأصبحنا نحن الاثنان نواجه الحياة بلا مورد، أنا فى المعتقل وهى فى الخارج.

وقد يكون من الدقة أن أقول إن ما حدث لم يكن مفاجأة كاملة لنا بالمعنى المفهوم. كانت هناك نذر واضحة فى الشهور الأخيرة عام ١٩٥٨ بتدهور الموقف

السياسى العربى بعد الوحدة المصرية السورية، وتأزم العلاقات بين ثورة يوليو والأحزاب الشيوعية العربية. وكان الخلاف يدور أساسا حول قضية شكل الوحدة..

هل تكون اندماجية كما أراد حزب البعث السورى وجمال عبدالناصر، أم تكون فيدرالية يكون لكل قطر فيها حق تنظيم شئونه الداخلية وفق ظروفه الخاصة؟ وكانت القضية الأولى التى يدور حولها الصراع فى هذا النطاق هى قضية الديمقراطية السياسية التى كانت تتمتع بها سوريا قبل الوحدة. وقد كان من الطبيعى أن يتمسك الحزب الشيوعى السورى بتجربته الديمقراطية السياسية التى عرفتها سوريا منذ سنة ١٩٥٤، وكان من الطبيعى أن يرفض الحزب حل نفسه، بينما تظاهر حزب البعث بحل فصائله ظنا منه أن «غنائم» الوحدة هى له وحده!

فى ظل هذه الظروف، كان من الطبيعى أيضا أن تساند الأحزاب الشيوعية العربية موقف الحزب الشيوعى السورى، وأن يكون هذا هو موقف الشيوعيين المصريين كذلك.

لكن رغم بوادر العاصفة خلال عام ١٩٥٨ فقد كانت لدى ولدى غيرى آمال فى محاصرة النيران قبل أن ينفجر الموقف انفجارا يستحيل تدارك آثاره. وكان مصدر هذه الآمال ثقتى فى وطنية نظام عبدالناصر وشعبيته، وانفجار ثورة تموز فى العراق عام ١٩٥٨ التى اقتلعت كل دعائم النظام القديم ودمرته تدميرا، وموقف الاتحاد السوفيتى المناصر لثورة يوليو والعراق، وقناعتى باستحالة استمرار أى نظام وطنى فى معاداة الإمبريالية والقيام بحملة صليبية واسعة النطاق ضد الشيوعية فى آن واحد، وعشرات الأسباب الأخرى.

كل هذا ظل يمنحنى الثقة بأن هناك أملا فى رأب الصدع والعودة إلى علاقات التعاون التى كانت قائمة من قبل بين ثورة يوليو والأحزاب الشيوعية العربية. وبحكم عملى فى صحيفة «المساء» كمحرر للشئون العربية والخارجية فى الفترة ١٩٥٦ - ١٩٥٨ كنت على اتصال بكثير من أطراف الأزمة، وعلى معرفة

بكثير من أسرار هذه الفترة فى المجال العربى، وحاولت كما حاول آخرون المساهمة فى حل الأزمة على أساس مبدأ صحيح.

لكن يبدو أن القوى المصرية والعربية المحافظة التى كانت تعارض محاصرة الأزمة كانت أقوى منا بكثير، وكانت النتيجة تدهور الموقف خطوة بعد أخرى، وخصوصا إثر محاكمة بعض الضباط الناصريين فى بغداد وإعدامهم. وساعدت على هذا حالة الزهو التى ركبت القيادة السياسية فى مصر معتمدة على شعبية عبدالناصر عربيا - وهى شعبية لم يكن هناك شك فى قوتها مما أدى بها إلى اعتماد سياسة «وحدنا فى الميدان»، التى بدأت بمحاولة تصفية الحزب الشيوعى السورى ثم امتدت بعد ذلك لتصفية حزب البعث السورى، ولكنها انتهت فى سبتمبر ١٩٦١ إلى تصفية نظام عبدالناصر فى سوريا!

ومن الأمانة أن أقول إن الأخطاء السياسية اليسارية التى تورط فيها الحزبان الشيوعيان فى دمشق وبغداد آنذاك قد ساهمت فى رأيى فى الوصول بنا إلى هذه النهاية الفاجعة لأول وحدة عربية فى العصر الحديث، وإن كانت المسئولية الأولى فيما حدث تقع فى رأيى على أكتاف القيادة السياسية فى مصر بما تورطت فيه هى من أخطاء سياسية، وما تورطت فيه أجهزة أمنها من جرائم.

وليس بالصدفة أن الذين طعنوا الوحدة المصرية السورية الطعنة القاتلة فى سبتمبر سنة ١٩٦١ كانوا «أصدقاء النظام»، أعنى الضباط السوريين الذين كانوا يعملون فى مكتب المشير عامر فى دمشق بقيادة النحلاوى مدير مكتبه. ولست أشك أن هذا العمل قد تم لحساب الرأسماليين والإقطاعيين السوريين الذين هددتهم إجراءات يوليو سنة ١٩٦١، ولكن يظل السؤال الحيوى قائما: كيف تم الانقلاب على الوحدة بهذه السهولة؟ بل كيف انهار صرح الوحدة فى دقائق؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا تكتسب أهمية تاريخية فحسب وإنما ترتبط بمستقبل النضال من أجل الوحدة فى المستقبل. وفى رأيى أن المفتاح الرئيسى فى هذه الإجابة يتمثل فى عداء نظام عبدالناصر للديمقراطية السياسية والجبهة الوطنية الذى أعطى أعداء الوحدة فرصتهم الذهبية.

لم يكن إذن ما حدث من اعتقالات فى فجر أول يناير سنة ١٩٥٩ مفاجأة كاملة لى، وإن كان اتساعها وشمولها هو العنصر المفاجئ، وينبغى أن أعترف أنه حتى بعد وقوعها ظللت فى الأسابيع الأولى أرجح أن الاعتقال لن يطول. وثبت خطأ هذا التقدير، وطال اعتقال الشيوعيين واليساريين المصريين، وامتد إلى أبريل سنة ١٩٦٤، أى أنه طال خمس سنوات وثلاثة شهورا

وقد قضيت هذه الفترة الطويلة فى عدة معتقلات مختلفة.. بدأت بمعتقل القلعة ثم معتقل الواحات الخارجة، ثم عدت إلى سجن مصر استعدادا لتقديمى مع ستين آخرين إلى المحاكمة أمام مجلس عسكرى يرأسه مدير سلاح المدفعية اللواء هلال عبدالله هلال فى أكتوبر سنة ١٩٥٩ بالإسكندرية. وبعد المحاكمة عدنا من الإسكندرية إلى سجن مصر مرة أخرى، حيث نقلنا فى ٧ نوفمبر ١٩٥٩ إلى معتقل اوردى أبو زعبل.

وفى أوردى أبو زعبل جرت أول تجربة تعذيب جماعية على يد جهاز المباحث العامة وضباط مصلحة السجون.. وليس لدى شك أن هؤلاء الذين أشرفوا على هذه التجربة البربرية لابد أن يكونوا قد دربوا على يد بعض النازيين من الألمان، لأننى عندما زرت بقايا معتقل «بوختنفالد» فى ألمانيا عام ١٩٦٩ واستمعت إلى شرح الدليل وجدت تشابها غريبا بين ما كان يجرى فيه من أساليب تعذيب وبين ما جرى فى معتقل أوردى أبو زعبل!.. ولقد تولى قيادة هذا العمل الوحشى الذى سوف يرد وصفه فى صفحات الكتاب العميد حسن المصيلحى من جهاز المباحث العامة واللواء إسماعيل همت وكيل مصلحة السجون، وانتهت هذه التجربة بفاجعة قتل الصديق العزيز شهدى عطية فى يونيو سنة ١٩٦٠. وعندئذ تحركت الدولة لوقف التعذيب وإبعاد المسئولين عن هذا العمل الإجرامى. ومع ذلك فلايزال المسئولون عن قتل شهدى عطية ومن قبله الدكتور فريد حداد حتى الآن دون جزاء!

وبعد توقف سياسة التعذيب فى الأوردى نقلنا فى يوليو سنة ١٩٦١ إلى معتقل الواحات الخارجة. وبقينا هناك فى ظروف معقولة نسبيا حتى أفرج عنا فى أبريل سنة ١٩٦٤ أثر إلغاء الاحكام العرفية وإقرار سياسة تصفية المعتقلات.

ومن الغريب أني قدمت إلى المحاكمة أمام المجلس العسكرى بتهمة الاتصال بالأحزاب الشيوعية العربية، مع أن هذا الاتصال كان معروفا للمسئولين طوال عامي ١٩٥٧، ١٩٥٨. باعتبارى محررا للشئون العربية فى صحيفة «المساء» كان الاتصال بقيادات هذه الاحزاب من صميم عملي، بل لقد نشرت أكثر من حديث صحفى فى «المساء» مع قادة هذه الأحزاب. فلم يكن هناك إذن شيء خاف على المسئولين فيما يتعلق بهذا الاتصال، ومازلت أذكر أننى كلفت من قبل المسئولين فى سفارتنا بالأردن وسوريا عام ١٩٥٧ بأعمال لم تكن من صميم عملى الصحفى، ورضيت القيام بها عن طيب خاطر لأنها كانت جزءا من صميم نشاط مصر التحررى فى المجال العربى آنذاك. وضمن ذكريات كثيرة مازلت أذكر مثلا أن الأحزاب الوطنية في الأردن كانت قد دعت فى مايو ١٩٥٧ إلى عقد مؤتمر وطنى فى نابلس لمواجهة السياسة الرجعية للملك حسين. وقد حاول الملك أن يمنع قادة هذه الاحزاب من الوصول إلى نابلس بكل السبل، ومن بينها محاصرة كل الطرق الخارجة من عمان بنقط حراسة عسكرية. وقد تصادف وجودى فى عمان فى هذه الفترة الحرجة، وإذا بالملحق العسكرى لسفارتنا ـ الأستاذ فؤاد هلال ـ يرجونى أن أخرج فى إحدى سيارات السفارة ليلا ومعى بعض قادة الحزب الشيوعى والجبهة الوطنية متنكرين لأنقلهم من عمان إلى القدس؛ حيث يتولى القنصل المصرى فى القدس نقلهم من هناك إلى نابلس لحضور المؤتمر. وقبلت رجاءه بطبيعة الحال ونفذت المهمة على ما فيها من مخاطر! ويشهد على هذه الواقعة الأستاذ/ فاروق القاضى الصحفى الذى صحبنى فى هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر.

لقد رويت هذه الواقعة حتى يدرك القارئ سخرية الموقف الذى كان على أن أواجهه أمام المجلس العسكرى متهما بأشياء يعلمها المسئولون وكانوا يرجون منى أداءها. وكان من الطبيعى أن أدلى فى تحقيقات النيابة بحقيقة الوقائع وتفاصيل الأحداث، وأن أطلب سماع أقوال عدد من المسئولين الذين كانوا من شهودها، ولم يكن أمام المجلس العسكرى إلا أن يحكم ببراءتى.

ولقد سبق أن ذكرت أن ظروف معتقل الواحات كانت معقولة نسبيا فى تلك الفترة بالقياس إلى ظروف المعتقلات الأخرى. لقد كانت هناك حرية فى الحركة داخل أسوار هذا المعتقل الكبير، وكانت هناك مزرعة تبعد عن المعتقل نحو ثلاثة كيلو مترات، وكان فى مقدورنا الذهاب إلى المزرعة والعمل فيها إذا شئنا. وقد استطاع المعتقلون بطرقهم الخاصة توفير مكتبة ضخمة من الكتب السياسية والأدبية والعلمية والفلسفية والتاريخية، وأجهزة ترانزستور كانت هى صلتنا بإذاعات العالم المختلفة، وكانت المكتبة عونا كبيرا لهؤلاء المثقفين الذين طال حرمانهم على احتمال السجن وقتل وقت الفراغ. واستفدت أنا شخصيا من هذه المكتبة أكبر استفادة إذ استطعت بتنظيم وقتى أن أنجز خلال عام المسودة الأولى من كتابى «العلم والحضارة»، الذى صدر عام ١٩٦٧، كما أمكن بالتدريج الحصول على المجلات الأدبية والثقافية التى تصدر فى القاهرة، وكان هذا حافزا لنا لإصدار مجلة حائط أدبية كان لى شرف المشاركة فى تحريرها.

لم تكن صلتنا بالأهالى مقطوعة خلال هذه الفترة، فقد كنا مع المحكوم عليهم بأحكام قضائية فى مكان واحد، ولم يكن يفرق بيننا إلا لون بدلة السجن، وكان للمحكوم عليهم حق استلام الخطابات من أهليهم وحق الزيارة مرة كل شهر، على عكسنا نحن المعتقلين إذ كنا بدون حقوق.

ولكن بعد فترة وبالتحديد: خلال السنة الأخيرة من حياة المعتقل، استطاع المعتقلون التغلب على هذه الصعوبات.. إذ دبروا وصول خطابات ذويهم لهم عن طريق إرسالها بالبريد باسم أحد المسجونين، كما استطاع أهالى المعتقلين زيارة أبنائهم بكتابة اسم أحد المسجونين على أورنيك الزيارة عند الوصول إلى باب السجن.. وعند الدخول إلى غرفة الزيارة يجدون ابنهم فى انتظارهم! ومن الطبيعى أن إدارة المعتقل كانت على علم بهذا التحايل، ولكنها كانت تغمض عينيها وتتصرف وكأنها لا تعرف شيئا!

فى ظل هذه الظروف استطاعت زوجتى أن تزورنى أربع مرات.. فى يوليو سنة ١٩٦٣، سبتمبر سنة ١٩٦٣، يناير سنة ١٩٦٤، وفبراير سنة ١٩٦٤. وجاءت هذه الزيارات بعد فراق أكثر من عامين، وفى ظل هذه الظروف استلمت منها عددا من

الرسائل يجد القارئ بعضها فى هذا الكتاب. وفى ظل هذه الظروف استطاع المعتقلون والمسجونون القيام بنشاط ثقافى واسع سيجد القارئ صداه فى بعض الخطابات المنشورة بالكتاب. فقد بنى المعتقلون مسرحا فى الهواء الطلق وأخرجوا عددا من المسرحيات المعروفة، ونشطت الفرق الرياضية فى كرة السلة وكرة القدم.. إلخ.

كما اتسع النشاط والخلاف السياسى.. وعندما أتأمل اليوم هذا الجانب فمن الممكن القول إن الخلافات السياسية بين الشيوعيين المصريين كانت قد بدأت قبل يناير سنة ١٩٥٩ . وكان محور هذه الخلافات هو الموقف من سياسة الحكومة عام ١٩٥٨ . فبينما كانت الأغلبية ترقب هذه السياسة فى حذر وتحفظ وبنظرة نافذة لقضيتى الوحدة والديمقراطية، كانت مجموعة شهدى عطية تتخذ موقف التأييد شبه المطلق لسياسة عبدالناصر. كان هذا هو الموقف حتى يناير سنة ١٩٥٩، ولكن بدأت بعد ذلك الانقسامات والخلافات داخل صفوف الأغلبية فى المعتقل، إذ تورط قسم من هذه الأغلبية فى تحليلات يسارية خاطئة لسياسة وطبيعة قيادة ثورة يوليو وصلت إلى حد الترويج لنظرية رأسمالية الدولة الاحتكارية.. الخ.. بينما ظل الجزء الآخر محافظا على نظرة واقعية لنظام عبدالناصر.. لاينكر عليه أصوله الوطنية التقدمية وإن ظل ناقدا للنظام لمواقفه غير الديمقراطية وموقفه الجامد من قضية الوحدة.

فى الواحات إذن كانت هناك ثلاثة تيارات سياسية.. أحدها يكاد يقول إن الاشتراكية تتحقق بالفعل على يد عبدالناصر، والثانى يرى فى عبدالناصر ممثلا للاحتكارات المصرية والأجنبية، والتيار الثالث يرى فى النظام علامات حكم فئات البورجوازية الصغيرة بكل ما فيها من مميزات ثورية كبيرة وتناقضات ومواقف معادية للديمقراطية.

ولقد كان طبيعيا أن تصدر مجلات سياسية فى الواحات تعبر عن هذه التيارات الثلاثة، وأن يشتد الصراع والجدل، وأحيانا كان يتحول إلى تهجمات شخصية أساءت إلى جو المعتقل إساءة بالغة. ولعل هذا الوضع كان أكبر محنة فكرية ونفسية اجتزتها فى الواحات، وسوف يرى القارئ أصداء هذا فى الخطابات المتبادلة بينى وبين زوجتى.

بعد هذه الصورة العامة أود أن أوضح عددا من الحقائق الخاصة بهذه الرسائل.. لقد ظل الاتصال بينى وبين عايدة ثابت متصلا طوال السنوات الخمس، ولم ينقطع إلا فترات وجيزة خلال فترة التعذيب فى أبو زعبل. وكثير من رسائلها وصلنى بالبريد، غير أن بعضها وصل عن طريق رسل شخصيين تطوعوا إما شهامة أو مقابل نقود أن يحملوا إليها خطاباتى أو يأخذوا منها خطابات لتسليمها لى. ولكنى لم استطع الاحتفاظ برسائلها فى السنوات الثلاث الأولى خوفا من التفتيش المفاجئ لنا داخل المعتقل، وما كان أكثره! واحتفظت فقط بخطاباتها خلال الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٤ إبان إقامتى بالواحات. أما رسائلى لها طوال السنوات الخمس فقد احتفظت هى بها فى عناية فائقة. وهكذا وجدت عند إعداد هذا الكتاب كل خطاباتي لها وبعض رسائلها لى. ولعل هذا يفسر للقارئ ما يلاحظه من أن رسائلها لى فى الكتاب لم تبدأ إلا فى عام ١٩٦٢.

ومع ذلك فالرسائل المنشورة ليست إلا جزءا من الرسائل المتبادلة بيننا، ولم أختر من هذه الرسائل إلا ما رأيت أنه ذو دلالة خاصة فى متابعة أحداث الكتاب. وبطبيعة الحال هناك عشرات أخرى من الخطابات الشخصية التى لم أشر إليها فى الكتاب.

تبقى قضية التوقيع فى نهاية الرسائل.. لقد كنت غالبا أوقع خطاباتى باسم «كامل»، وليس هذا اسما سريا.. إن هذا هو اسمى الحقيقى فى أسرتى وبين أهلى عندما كنت صغيرا، وقد درجت العائلات فى زماننا على التقليد الغريب بأن يكون للمولود اسم فى شهادة الميلاد غير ما ينادى به فى المنزل، أما هى فقد حرصت على التوقيع باسم «عنايات» خوفا من أن تقع الرسائل فى أيدى أجهزة الأمن، وكانت تناديني باسم «سعد» فى هذه الخطابات لأنها كانت مرسلة باسم المسجون الشيوعى الأستاذ سعد رحمى، ومكتوبة كأنها من شقيقته!

ولقد حرصت على نشر هذه الرسائل كما هى دون إضافة أو تعديل.. اللهم إلا تصحيح بعض الأخطاء اللغوية أو إعادة صياغة بعض الجمل الركيكة مع الاحتفاظ بالمعنى كما هو، لأننى حريص على الاحتفاظ بالطابع التاريخى والإنسانى - بكل جوانب قوته وضعفه - للرسائل.

ومع ذلك فلست أقصد من هذه الرسائل تأريخا لهذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر.. إن هذا أبعد ما يكون عن ذهنى، وإن كنت أزعم أن هذه الرسائل تعطى القارئ صورة عامة سريعة عما جرى فى هذه الفترة من تعذيب وأحداث هامة ونشاطات مختلفة.

إن ما دعانى إلى نشر هذه الرسائل فى هذا الوقت بالذات هو وفاة زوجتى عايدة ثابت، وما وجدته من تشجيع من عدد كبير من الأصدقاء ـ المطلعين على هذه الرسائل - على نشرها. ولم أقصد من النشر أن أقدم كتابا سياسيا فى المحل الأول.

ولكنى اود أن أوضح أننى لست راغبا بهذا النشر فى المشاركة فى حملة التشهير التى يتعرض لها عبدالناصر بل واسمه فى السنوات الأخيرة، من عناصر رجعية مقرونة بعدائها التقليدى للشعب واحتقاره، والتى تستهدف القضاء على كل المنجزات الإيجابية لثورة يوليو.

وغنى عن البيان أننى كنت - ومازلت - مقتنعا بأن عبدالناصر هو استمرار حقيقى لعرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول... وإن كان استمرارا أرقى، وأن الذى ينكر أن عبدالناصر هو أحد القادة المرموقين للنضال الوطنى والعربى ضد الاستعمار فى العالم الثالث فى العصر الحديث هو شخص إما مغرض أو سفيه! ولا أعتقد أن هناك شخصا واحدا على أى قدر من الموضوعية يستطيع أن ينكر قيمة التحولات الاجتماعية الهامة التى قادها عبدالناصر فى المجتمع المصرى.

وليس معنى هذا أنه لم توجد سلبيات هامة ولم ترتكب أخطاء وجرائم فى ظل عبدالناصر. لقد سبق لى أن أوضحت رأيى تفصيلا فى هذه السلبيات، وجوانب القصور فى فكر الثورة وأعمالها فى «محاورات اليسار المصرى مع توفيق الحكيم». (وقد نشرتها دار القضايا البيروتية منذ عام).

والأكثر من هذا أننى وآخرين كثيرين حاولنا أن ننبه عبدالناصر والنظام عموما - إلى خطورة هذه السلبيات فى حينها وعندما وقعت! وجاء هذا التنبيه على صورة مقالات ومطبوعات وخطب انتخابية (سنة ١٩٥٧ عندما كنت مرشحا

بدائرة الوايلى) ورسائل من بعض المثقفين رفعت إلى عبدالناصر من خلال أصدقائه والمتصلين به. وربما دفعنا ثمنا باهظا لهذا النقد فى وقت كان معظم قادة حملة التشهير الحالية يسبحون بحمد عبدالناصر ويعلنون تأييدهم الأعمى له بالحق وبالباطل!

ولأن عبدالناصر كان ولى نعمة كثير من قادة حملة التشهير التى تبلورت فى السنين الأخيرة، فإن الإنسان لا يملك إلا أن ينظر باشمئزاز وازدراء إلى كثير من قادة هذه الحملة الذين تعودوا أن يأكلوا على كل الموائد!

إن هذه الرسائل إذن لا تستهدف التشهير، وإنما تحكى أولا وأخيرا قصة حب وصمود بين زوجين شابين مشتغلين بالعمل السياسى، أدركتهما أعاصير الحركة السياسية بمحنة اعتقال الزوج أكثر من خمس سنوات وتشريد الزوجة طوال هذه الفترة، ومع ذلك فقد استطاع هذا الحب أن يصمد للاختبار.

ولهذه القصة الإنسانية جانب آخر لا يخفى على القارئ، إن العواطف الملتهبة التى تبدو فى هذه الرسائل ليس مصدرها فقط أنها رسائل زوجة كانت فى الرابعة والعشرين من عمرها وزوج كان فى الخامسة والثلاثين من عمره، بكل ما يعنيه هذا من التهاب العواطف وتأجج الأحاسيس بين عاشقين، وإنما مصدرها أيضا رباط فكرى قوى ظل يقرب بيننا ويبعث الدفء فى حياتنا على طول السنين فى ظل الحرية. وبامتزاج هذا الرباط الفكرى الاشتراكى بالحب الإنسانى تولد لدى كل منا إحساس عميق بأنه لا يستطيع الاستغناء عن الآخر. وربما جرى بيننا بين الحين والآخر ما يجرى بين كل زوجين من مشاحنات صغيرة، ولكن ظل هذا الشعور الجارف قويا دائما وفى كل الظروف.

لكن عايدة ثابت ماتت فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ أثر فاجعة مروعة لم يقدر أى منا أنها سوف تنتهى إلى هذه النهاية، ولقد أفاضت الصحف والمجلات المصرية والعربية فى ذكر الحادث الذى أدى إلى الوفاة، وإن كانت قد ذكرت بعض التفاصيل غير الصحيحة، ولذا يكفينى هنا أن أذكر الوقائع الأساسية للحادث وتطوراته.

فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٥ كنت عائدا بالطائرة من روما حيث حضرت اجتماعا للخبراء الأخصائيين لمنظمة الأغذية والزراعة الدولية. وذهبت زوجتى وابنتى حنان لانتظارى كالعادة فى المطار، وقبل وصولى بربع ساعة هاجم كلب ضال ابنتى حنان وعقرها فى قدمها اليسرى، واندفعت زوجتى تدافع عن حنان فهجم الكلب عليها وطرحها على الأرض حيث عقرها فى ساقها اليمنى وكفها الأيمن أيضا. ولقد ذهبا إلى مستشفى منشية البكرى فورا حيث جرت الإسعافات الأولية. ثم بدأت المستشفى فى اليوم التالى حقن زوجتى وابنتى بالمصل المضاد لمرض الكلب لمدة عشرين يوما، أى من ١٨ أكتوبر حتى ٥ نوفمبر. وبدأ تحسن واضح من العلاج الأمر الذى دفع زوجتى إلى العودة إلى عملها الصحفى فى اليوم الخامس عشر من الحادث، وبناء على مشورة الأطباء، ولقد ساعد على خلق جو من الاطمئنان الكاذب بيننا جهلنا الكامل بأعراض المرض، وما قاله أطباء مستشفى منشية البكرى ومستشفى الكلب والأطباء الخصوصيون من أن المصل مؤكد المفعول، ومن أن أعراض المرض ـ إن بدت ـ فإنما تظهر فى اليوم الحادى عشر من الحادث. ولما مضى اليوم الحادى عشر حتى الثامن عشر دون تعقيدات أو شكوى، شاع الاطمئنان فى نفوسنا. وسافرت يوم ٦ نوفمبر بعد انتهاء العلاج لحضور مؤتمر لليونسكو العربى فى قطر، وليس يخطر على بالى أن وداعها لى على باب منزلنا هو الوداع الأخير!

نعم لقد شكت ليلة سفرى من ألم فى ذراعها اليمنى، ولكن ما أسهل مانسينا ـ نحن الاثنان ـ هذا المجهود الذى بذلته فى كتابة مقالاتها بيدها اليمنى أثر عودتها إلى العمل الصحفى، فضلا عن شكواها منذ سنوات من آلام روماتزمية فى ذراعيها وقدميها.

الأغرب من ذلك أننى تحدثت معها تليفونيا من قطر قبل وفاتها بأربع وعشرين ساعة، ولم تكن تشكو إلا من ألم شديد فى ذراعها أليمنى، لقد بدأت التعقيدات الصحية خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة لها، وتدهور الموقف فجأة ودخلت فى غيبوبة، ثم فاضت روحها الطاهرة فى صباح الاثنين ١٠ نوفمبر.

لقد ماتت عايدة ثابت فى أنضج سنوات حياتها.. وبعد أن بدا أن القدر قد ابتسم لنا بالبيت السعيد والابنة التى هى قرة عين والديها، جاءت هذه الفاجعة الخاطفة لتخنق آمالا مزدهرة فى حياة سعيدة طويلة لنا نحن الثلاثة. وهكذا شاء القدر أن يحرمنى وابنتى من أعز وأحب من كان لنا فى الحياة!

كانت عايدة ثابت إنسانة بكل معنى الكلمة.. رقيقة كالنسيم، باسمة كالزهور، فى دماثة الكلمة الطيبة، وكانت دائما قادرة على أن تشيع فى كل من حولها روح البهجة والسرور مهما كانت الظروف. تصدق عليها كلمة الكاتب الأمريكى مارك توين حين قال فى «يوميات حواء» مشيرا إلى زوجته: «أينما كانت هناك جنة»!

ولكن عايدة ثابت كانت شجاعة أيضًا خصوصًا في الدفاع عن المضطهدين والمظلومين والفقراء، إلى الحد الذى قد يعتبره الناس تهورًا. كانت تكره الظلم والاضطهاد إلى أبعد الحدود، وكأن قلبها دليلها فى هذا الميدان، تصدق عليها أيضًا كلمة تولستوى حين وصف مكسيم جوركى بأنه صاحب «القلب الحكيم»، لقد كان قلبها هو دليلها إلى الحكمة، لأنه كان يتسع لمحبة الآخرين وينشغل بالآخرين قبل أن ينشغل بشئونها!

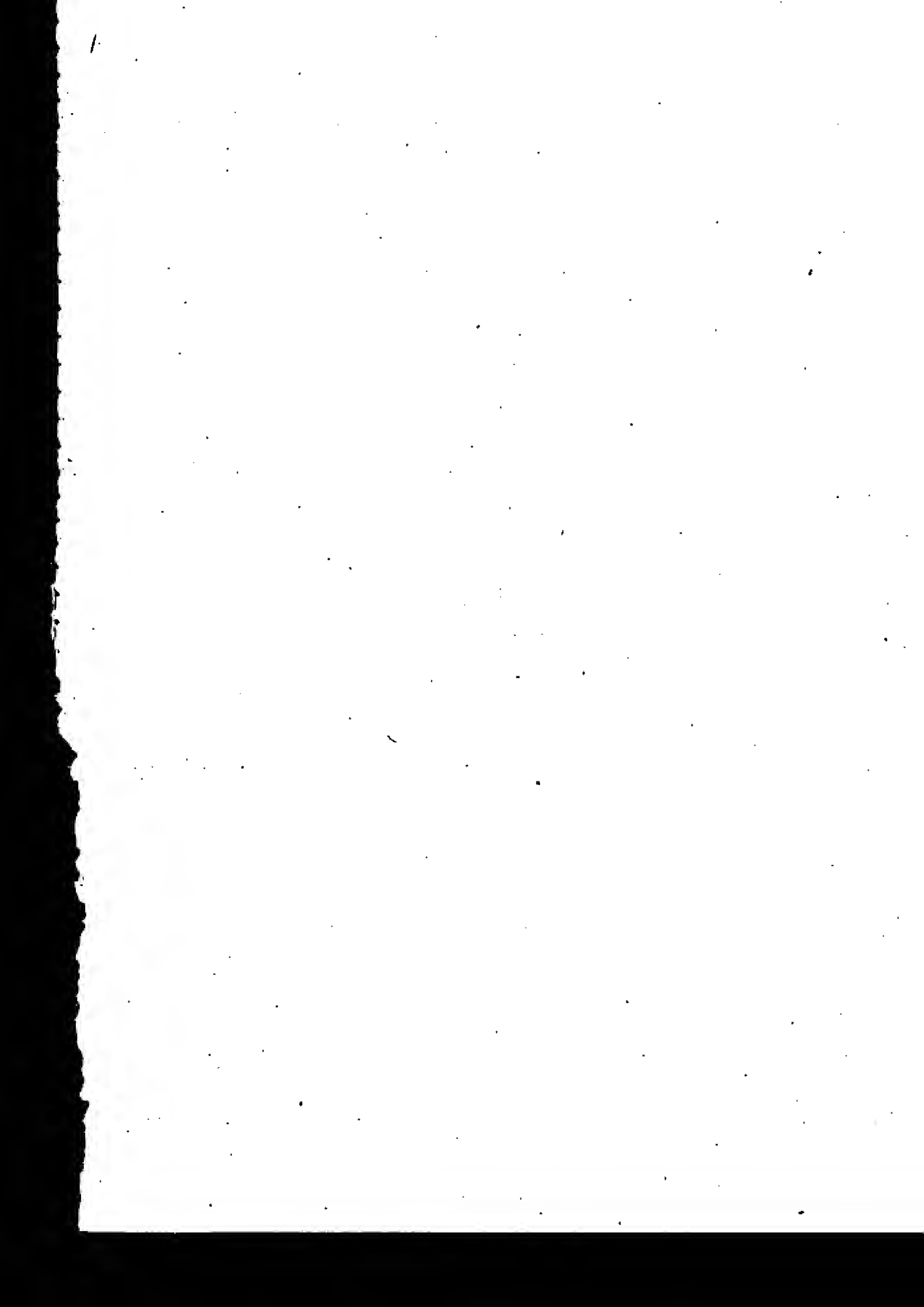
ولقد بدا لى دائما أن عايدة ثابت والموت شيئان متناقضان، لأنها كانت على الدوام للحياة!

فما أقسى الحياة بعدها على الذين عرفوها جيدا، وأحبوها من صميم قلوبهم!

عبدالعظيم أنيس

الفصل الأول

من القلعة
إلى المجلس العسكرى



خطابى الأول
معتقل القلعة فى ٢٣/ ١/ ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

أبعث إليك بأشواقى وقبلاتى الحارة من داخل أسوار معتقل القلعة، الذى مضى علينا فيه ثلاثة وعشرون يومًا. إن هذا هو نفس المكان الذى كان المستعمرون الإنجليز يعتقلون فيه المواطنين من المصريين عام ١٩١٩، فما أغربها من مفارقة أن نكون نحن هنا.. وبأمر حكومة وطنية!

هذه هى رسالتى الثانية إليك، الأولى أرسلتها عن طريق ليلى وأرجو أن تكون قد وصلتك، وأن تكونى قد أرسلت ردك عليها عن طريق ليلى أيضًا. حامل هذا الخطاب أحد معارفنا الجدد، وقد عرض على أن يحمل إليك أية رسالة شخصية فوافقت، وأعتقد أنه مخلص فى خدمته لأنه كان يزورنى فى مكتبى بجريدة «المساء» ومعه قصائده يرجو نشرها!

وأود قبل أن أستطرد أن أذكر لك ما نسيت أن أخبرك به فى خطابى الماضى... فقد كنت قد اشتريت لك قبل اعتقالى هدية متواضعة بمناسبة عيد ميلادك فى أول يناير، وهى شراب نايلون موجود فى المكتبة بمنزلنا داخل بعض الصحف العادية. أرجوك أن تأخذيه تذكار حبى الكبير.

أحوالى الصحية عادية، وأظن أن وزنى قد زاد بعض الشىء، والسبب طبعًا مفهوم.. فعلى الرغم من سوء الأكل بالمقارنة بالخارج، فإننا محاصرون فى مكان

ضيق جداً، عبارة عن صفين من الغرف المتقابلة (زنازين) لا يفصل بينها غير دهليز ضيق. ونحن نقضى معظم النهار وطول الليل فى هذه الزنازين ولا نتريض إلا لماما، والحراس يقفون أمام الزنازين طول النهار فى محاولات فاشلة لمنعنا من الاتصال ببعضنا البعض أو الحديث عبر الفتحات!

ومع ذلك فإننى أتابع مقالاتك فى «المساء» بحماس وإعجاب من هنا، وأرجو مواصلة الكتابة.. أعجبنى على وجه الخصوص مقالك عن كاسترو. أرجوك أن تسألى رئيس التحرير[1] إن كان فى مقدوره التوسط من أجل الزيارات والكتب، فالكتب تساعد على قتل الوقت. أما عن الزيارات فأنا أحلم باليوم الذى سأراك فيه ولو لخمس دقائق! بلغنى أن إخوتى قلقون على، وأكون شاكراً لو اتصلت بهم وهونت الأمر عليهم، وأكون شاكراً لو سألت عن أخبار منى ووفاء[2].

أما عن التحقيق معى... فالحقيقة أن النيابة لم تظهر غير مرة واحدة، والأسئلة كانت عادية تماماً: ما رأيك فى الحكومة؟... حكومة وطنية! ما رأيك فى الوحدة بين مصر وسوريا؟ إننى أؤيد الوحدة غير أنى أخشى على مستقبلها لأنها ولدت غير ديمقراطية، وأعتقد أن فكرة إلغاء الأحزاب الوطنية فى سوريا خاطئة. لقد كنت أفضل أن تكون الوحدة فيدرالية وليست اندماجية، على الأقل لفترة من الزمن. وقد أحلت وكيل النيابة على بيان الكتاب والأدباء إلى الرئيس عبدالناصر بمناسبة الوحدة والذى كان ضمن المضبوطات التى وجدها البوليس بمنزلنا.

هذه هى كل الأسئلة تقريباً، ثم اختفت النيابة بعد ذلك، ولسنا نعرف إن كانت هناك قضية تعد لنا أمام محكمة عسكرية، أم أن الموضوع سوف يقتصر على الاعتقال فحسب، وإن كنا نرجح الاحتمال الأول على الأقل لبعض المعتقلين.

إننى مازلت أحتفظ بابتسامتى ومرحى الذى تعودت أنت عليه، والروح المعنوية هنا عالية، والناس يغنون ليل نهار، وأنا أحاول أن أعود من جديد إلى هواية نظم الشعر بعد أن هجرته أكثر من عشرة أعوام... وإلى لعب الشطرنج!

أرجو أن تبحثى عن طريق لنشر ترجمتى لمسرحية «شبح مقاتل» للكاتب الإيرلندى أو كازى[3] فى أى بلد عربى، وأن تتصرفى فى مقالى عن لقاء

(١) الاستاذ خالد محيى الدين رئيس تحرير (المساء) آنذاك.

(٢) منى ووفاء: هما ابنتاى من زواجى الأول.

(٣) كانت ترجمة هذه المسرحية وكتابة مقال (لقاء بين ستالين وويلز سنة ١٩٣٢) هما آخر ما أنجزته قبل اعتقالى فجر ١ - ١ - ١٩٥٩. وكنت أنوى نشر الترجمة فى بغداد والمقال فى بيروت، ولكن الوقت لم يتسع لإرسالهما.

ويلز وستالين، وأن تكتبي لى عن كل شىء. إننى متفائل دائمًا يا حبيبتى بأننا سوف نلتقى فى الحرية، وأننا سنعيش معًا حياة طويلة وسعيدة. فأنا أومن ـ مثل ناظم حكمت ـ بأن أجمل الأنهار لم نرها بعد، وأن أجمل الكتب لم نقرأها بعد، وأجمل أطفالنا لم نرزق به بعد، وأجمل أيام حياتنا لم تأت بعد، مازالت هذه الكلمات التى أرسلها ناظم حكمت إلى زوجته فى السجن ترن فى أذنى، وأحس أنها الكلمات التى أود أن أقولها لك. لقد قلت لك فى خطابى الأول إننى لا أنام قبل أن أستحضر صورتك أمامى وأرسل لك على البعد قبلتى التى عودتك عليها قبل زواجنا. هل تذكرين؟

إننى لا أخشى الوحدة فى زنزانتى، ولكنى أخشى عليك من الوحدة لأننى أعلم كم تكرهينها. هل عادت عمتك[1] إلى شقتنا بعد اعتقالى؟ وماذا حدث للشقة.. هل أخليتها كما كنا ننوى أن نفعل؟

آسف.. لابد أن أختم خطابى، فالرسول يتعجل استلامه والناس ينادوننى هنا لأن الطابور قد بدأ، فإلى اللقاء يا حبيبتى.

ملحوظة: أرجو أن تكتبى لى عن الوردة الحمراء[2] التى كنت قد أهديتها لك ومازلت تحتفظين بها.

«كامل»

---

(١) سوف يرد ذكر عمة زوجتى كثيرًا فى هذا الكتاب.. هى السيدة فهيمة ثابت، إحدى المناضلات البارزات فى ثورة ١٩١٩، ارتبطت دائمًا بالزعيم سعد زغلول وزوجته صفية زغلول وتطوعت لمرافقة أم المصريين عند نفيها مع زوجها إلى جبل طارق.

وعلى المستوى الشخصى فإن السيدة فهيمة ثابت هى الأم الحقيقية لزوجتى إذ إنها تولت تربيتها ورعايتها منذ الصغر، وكانت زوجتى تحس دائمًا بأنها مدينة لعمتها بكل شىء.

(٢) كان إهدائى لها هذه الوردة الحمراء أول إشارة لحبى، وقد ظلت هذه الوردة فى صندوق زجاجى صغير فى دولاب زوجتى حتى اليوم!

خطابى الثانى

معتقل القلعة فى ٣٠/ ١/ ١٩٥٩

زوجتي الحبيبة:

هذه هى رسالتى الرابعة، وقد وصلتنى منك رسالتان وإن كنت أتوقع الثالثة غداً. الساعة الآن الثالثة بعد الظهر، وقد تحسنت أحوالنا فى المعتقل نوعاً ما، وأنا أجلس وحيداً فى الزنزانة وإن كنت أشعر أننى لست وحدى!

ياحمامتى الجميلة.. أنت دائماً معى فى القلب والفكر والخيال، أعيش على ذكرياتى معك... الكلمة الباسمة والعيون الضاحكة واللمسة الرهيفة والقبلة المذيبة وأنفاسك البريئة وأنت نائمة فى السرير كالملاك الطاهر! ومنذ أفتح عينى فى الصباح حتى أنام ألقى خيالك كل دقيقة، فإذا نمت عدت إلى فى الأحلام.

خطابك الثانى أثارتنى كلماته، وقد قرأته عدة مرات قبل أن أنام، ولم تضايقنى كلماته الملتهبة كما خشيت، بل على العكس هذا هو شعورى كذلك.

إنك تسألين عن حياتى هنا وصحتى، وسأقول لك فى صراحة كل شىء... عن الناحية الصحية من الطبيعى أن تتقدم صحتى عموماً للراحة الطويلة هنا بعد إرهاق العمل المتواصل فى صحيفة «المساء» قبل اعتقالى، فضلاً عن أننى لا أدخن الآن. والزملاء يلاحظون هنا أن وزنى قد زاد بعض الشىء. ولكن آلام «البواسير» قد عادت منذ أكثر من عشرة أيام، وهى تنزف دماً كل يوم. ونحن نحاول إقناع الطبيب بنقلى إلى مستشفى قصر العينى[1] لإجراء العملية، وسأعرف بعد يومين نتيجة المسعى.

---

(١) تم فعلاً نقلى إلى مستشفى قصر العينى فى فبراير ١٩٥٩ حيث أجريت العملية.

أما عن حياتى هنا فنحن نقوم من النوم الساعة السابعة صباحًا حين تفتح الزنازين، ويقدم لنا المعتقل طعامًا لا يقارن طبعًا بأى طعام فى الخارج من ناحية النوع أو حتى الكميات. وجبة الغداء خصوصًا سيئة رغم أن بها خضارًا وأرزًا ولحما وبرتقالة؛ لأن اللحم غير قابل للأكل، والأرز ملىء بالحصى وشبه مسلوق، وفى العشاء يقدمون لنا جبنًا وحلاوة طحينية. هذا هو الطعام، ولقد حاولنا أن نشترى بنقودنا بعض الخضراوات أو الفاكهة الطازجة ولكنهم رفضوا دائمًا بناءً على تعليمات المباحث العامة، باستثناء مرة واحدة.

ومع ذلك فإدارة المعتقل معقولة فى معاملتها لنا حتى الآن ولا غبار عليها، وقد تخلت تدريجيًا عن التشدد السخيف الذى مارسته فى الأيام الأولى بهدف ألا نتصل ببعضنا البعض. أما المباحث العامة فهى التى تتشدد دائمًا معنا وتتعمد الإساءة إلينا.

ومن ناحية الملابس فإننى أتولى غسل ملابسى بنفسى فى الماء البارد ونشرها. صحيح أن هناك رجلاً مكلفًا بهذه المهمة، ولكنه قذر فى غسل الملابس إلى أبعد الحدود؛ ولذا فأنا لا أرسل إليه ملابسى وأفضل أن أفعل ذلك بنفسى، طبعًا ستضحكين على قيامى بغسل ملابسى بنفسى، ولكن هذه خبرة مفيدة حتى أساعدك عندما تفتقد الخادمة!

ونحن ننام هنا على أسرة، ولكل واحد منا ثلاث بطاطين، وهى كافية رغم أن البرد قارس على قمة المقطم فى فصل الشتاء. وليس فى الحمامات ماء ساخن للاستحمام، وإنما هناك «دش» للماء البارد. وقد قمت بالاستحمام ثلاث مرات حتى الآن على قسوة ذلك. ولكن كثيرًا من المعتقلين فضلوا عدم الاستحمام حتى يأتى الماء الساخن الموعود، وكانت النتيجة انتشار القمل والحشرات! تصورى أننى وجدت ثلاث قملات على بيجامتى منذ أيام!

ومع ذلك فلست أريد أن تخرجى بصورة متشائمة عن الحياة هنا. فرغم كل المتاعب نضحك ونلعب وننكت ونثق أننا سوف ننتصر فى نهاية الأمر. إن موقفنا القانونى هو أننا معتقلون بأمر الحاكم العسكرى ولسنا محبوسين على ذمة

قضية. وأعتقد أن احتمال تدبير قضية ضدنا هو احتمال ضئيل اليوم وخصوصاً بعد كلام خروشوف الذى قرأناه باهتمام عظيم. إن الظروف العالمية والعربية فى صفنا تماماً، ونحن نرقب الموقف فى ثقة حتى ولو تأخر الإفراج عنا.

فرحت بأنباء وصول «الأنتريه» الذى كنا قد تعاقدنا على شرائه قبل اعتقالى، وأرجو أن يكون قد حاز إعجابك، وأرجوك ياحبوبة أن تشترى لك ملابس شتوية جديدة... أرجوك أن تفعلى وأن تشترى البوتاجاز كما انتوينا، فأنا أريد أن يكون بيتنا جميلاً، وأن تكونى أنت أجمل ما فيه! ولا تنسى أن تعلقى النجف - الذى كان هدية الأصدقاء لنا فى زواجنا - فى الأنتريه وغرفة المكتب، وأن تجلسى إلى مكتبى عندما تكتبين مقالاتك.. وأن تذكرينى!

هل تذكرين جلساتنا فى غرفة المكتب نناقش القضايا السياسية والفكرية ونحن نشرب القهوة أو الشاى؟ لقد حرمت من الاثنين هنا.

ربما يتأخر خطابى القادم إليك لأن الرسول سوف يتغير، فلا داعى للقلق إذا تأخرت. وأخيراً ماذا أقول لك فى الختام؟ أرجوك أن ترسلى صورتك، وألا تنسى موعدنا - على البعد - الساعة العاشرة مساء، وإن تسلمى على كل أهلى، وأن تبعثى لى بأخبار منى ووفاء.

«كامل»

خطابى الثالث

معتقل القلعة فى ٥ فبراير سنة ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

قرأت خطابك عدة مرات قبل أن أمزقه؛ فنحن هنا لا نستطيع الاحتفاظ بالخطابات مدة طويلة نظرًا لاحتمالات التفتيش من جانب الإدارة. وأعترف لك أننى رغم الجهد لم أستطع مقاومة سقوط دمعة من عينى وأنا أقرؤه للمرة الأخيرة قبل تمزيقه. إن هذا لم يحدث لى من قبل فأنا أمقت الدموع لأى سبب كان، وخصوصًا فى مثل هذه الظروف.

إنك تقولين إنك تشعرين بأحاسيس الإنسانة العاشقة، فماذا أقول لك حتى تدركى ما أنا فيه؟ إننى أذكرك فأذكر كل ما قرأته فى «نشيد الانشاد» من غزل رفيع هو أقرب إلى التصوف، هذا هو نفس شعورى نحوك، فأنا أحس عندما أكتب إليك أننى أدخل معبدًا للصلاة، وأستعيد فى ذاكرتى جملاً صغيرة مما كتب ناظم حكمت إلى زوجته من داخل السجن. فأحس بدموعى على وشك الإفلات. وهذا الشعوز المقدس هو أجمل ما أعيش عليه، وأعظم ما يشجعنى على احتمال ما مضى وما قد يأتى به الغد عن طيب خاطر!

تمنيت لو انهدمت الجدران بيننا وأخذتك بين ذراعى كما كنت أفعل، واحتضنتك بقوة كما كنت أفعل، وبكيت بين ذراعيك وعلى صدرك كما كنت أفعل!.

تمنيت لو كان بإمكانى أن افعل كل هذا، ولكن هذا محال الآن. وأنا أعيش بأمل اليوم الذى سوف يصبح فيه هذا ممكنًا.

أريد أن أطيل يا حبيبتى.. ولكننا نعيش تحت ضغط التفتيش المفاجئ دائمًا. ولقد ساءت معاملة الإدارة لنا بناء على تعليمات المباحث العامة.

ولذلك فأنا مضطر إلى الإيجاز رغم كراهيتى لذلك. المهم لا ترسلى لى شيئًا من مأكولات أو خلافه، ولا تنسى عيد ميلاد منى الذى اقترب، ولا تنسى طبعًا موعدنا على البعد الساعة العاشرة مساءً!

وأرجوك ألا يساورك القلق على صحتى، فليس المهم أن دمًا ينزف منى، هذا لا يقلقنى، ولكن أنت يا حمامتى التى تقلقينى بوحدتك وإهمالك لنفسك، لابد من العناية بنفسك ولابد من بعض الفسح المعقولة. إن هذا سوف يسرنى، وسوف أحس كأننى معك فى كل دقيقة.

ختامًا أنا دائمًا فى انتظار خطاباتك فلا تتأخرى.

«كامل»

خطابى الرابع

معتقل القلعة فى ٢ أبريل سنة ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

أبعث إليك بأشواقى وقبلاتى، وكذلك لمنى ووفاء وإخوتى وخصوصًا سعاد التى لم تتح لى الظروف رؤيتها بعد عودتها من الخارج.

هأنذا أكتب إليك من سجن الواحات الخارجة بعد أن نقلنا من معتقل القلعة يوم ٢١ مارس، فوصلنا الواحات بعد رحلة مجهدة دامت أكثر من أربع وعشرين ساعة بالقطار.

لقد كانت الرحلة كلها مهانة لإنسانية جميع المعتقلين... تصورى أننا ربطنا من أذرعنا فى جنزير حديدى واحد بحجة أنه ضمان ضد الهرب خلال الرحلة! ولكن الأسوأ والأبشع كان فى انتظارنا عند وصولنا إلى السجن.. هناك فوجئنا بوجود فرقة اللواء إسماعيل همت المتخصصة فى إرهاب المسجونين والبطش بهم، ولم نكد نصل إلى باب السجن حتى وجدنا المدافع الرشاشة مصوبة إلى صدورنا دون أن يصدر منا ما يدعو إلى ذلك! ولقد اختار همت عددًا قليلاً من المعتقلين لجلدهم على «العروسة» التى كانت معدة فى فناء السجن، ويبدو أن الهدف الحقيقى هو إشاعة جو الفزع والرعب بيننا، ومع ذلك يجب أن أعترف إن إدارة السجن ذاتها غير راغبة فى هذه المعاملة، ولقد أفهمنا ضباط السجن صراحة أنهم مضطرون إلى مجاراة هذا الجو إلى حين عودة اللواء همت من القاهرة. والحمد لله أنه عاد فى صباح اليوم التالى لوصولنا!..

لقد أبلغنا مأمور السجن التعليمات وأرجو مراعاتها بدقة.. بالنسبة للخطابات لقد سمحوا لكل واحد منا بخطاب كل أسبوعين، ولكنكم تستطيعون إرسال أى عدد من الخطابات لنا. وقد فهمنا أنه مسموح لكل واحد منا باستلام طرد واحد شهريًا فيما عدا طرود المناسبات كالأعياد وخلافه: وتسلم طرود الملابس إلى الشئون العامة بمصلحة السجون، أما طرود المأكولات والأدوية والكتب فترسل عن طريق المباحث العامة. أرجوك ألا ترسلى أى سجاير لأننى أقلعت عن التدخين. أما من ناحية العملية الجراحية التى أجريت لى فى قصر العينى فلا داعى للقلق لأننى أصبحت طبيعيًا تمامًا من هذه الناحية.

إننى فى حاجة إلى ملابس صيفية مثل شورت وصندل وفانلات صيفى وبعض القمصان الخفيفة، إلى جانب بعض الأدوية ضد الدوسنتاريا وبعض الفيتامينات والمأكولات المحفوظة نظرًا لسوء الحالة الغذائية هنا. وحبذا لو أرسلت مضربًا ضد الذباب ونظارة سوداء.

مازال وضعى القانونى كما كان فى القلعة، وهو أننى معتقل سياسى فى سجن الواحات الخارجة.. الجديد أن وجودنا هنا أعطانا الفرصة لتجديد علاقات قديمة مع عدد من الكتاب والفنانين التقدميين المحكوم عليهم بأحكام منذ أعوام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ومنهم الصحفى صلاح حافظ والرسَّام داود عزيز وغيرهما كثير.

إننى دائم التفكير فيك ياحبوبة، ومازلت أستعيد فى خيالى ابتسامتك الجميلة وحديثك العذب وضحكات عينيك وآخر مرة التقينا فيها فى مستشفى قصر العينى[1]! وارجو أن تثقى أننى سأعود إليك يومًا وسأحمل لك فى جيبى كل قطع الشيكولاتة التى كنت تحبينها، وستملأ ضحكاتى أرجاء المنزل كما عودتك دائمًا.

لست أدرى ما هى أخبار منى ووفاء.. هل يزورهما محمد أخى يا ترى؟ وماذا تعرف «منى» بالدقة عن غيابى؟ هل مازلتم تقولون لها إننى مسافر إلى سوريا أم أنها تعرف الحقيقة؟ إننى أحبذ أن تقولوا لها الحقيقة ولو تدريجيًا. لقد أرسلت

(١) نقلت فى فبراير سنة ١٩٥٩ إلى مستشفى قصر العينى حيث أجريت لى عملية البواسير، وبقيت هناك ثلاثة أسابيع زارتنى فيها زوجتى عدة مرات، وبعض هذه الزيارات تمت بتصريح رسمى من المباحث، والبعض الآخر تم بشكل ودى بمساعدة أطباء قصر العينى.

لها خطابًا من معتقل القلعة، وسوف أحاول أن أرسل لها خطابًا آخر من هنا. مازلت فى انتظار أن أسمع محمد أخى أنه يراهما ويرعاهما بقدر ظروفه فى فترة غيابى.

وأخيرًا أرجو أن تقدمى باسمى واسمك طلبًا إلى نقابة الصحفيين تطلبين فيه إعانة شهرية لنا نحن الاثنين. أرجوك ألا تخجلى من ذلك، فهذا حقنا. لقد كان جديرًا بالنقابة أن تقف موقفًا حازمًا من فصلى وفصلك من صحيفة «المساء»، وهو فصل تعسفى أصبحنا نحن الاثنان بعده بلا مورد نعيش عليه!، ما أروع هذا الفصل من مكافأة على مواقفنا الوطنية وعلى استقالتى من وظيفتى كمدرس بجامعة لندن عام ١٩٥٦ احتجاجًا على العدوان البريطانى الغاشم على بلادنا!

أخيرًا أرجو الا يتسرب القلق علىّ إلىّ نفسك، فأنا أقضى معظم وقتى مع الصديق محمود العالم ومن معنا فى الفرقة نضحك ونشيع روح المرح فى قلوب كل من حولنا، وأحاول أحيانًا أن أستعيد بعض المسائل الرياضية القديمة التى تركتها منذ عملى فى الصحافة وأطيل التفكير فيها بلا ورق أو قلم لأنها من المحرمات هنا. أرجو أن يسمحوا لنا بالكتب حتى تكون المسألة أكثر جدية وأعود إلى أبحاثى العلمية من جديد.

سلامى إلى كل إخوتى ولسعاد وحبى العميق لها، إنها تعلم كم أحبها وكم أنا مشتاق إلى كلمة منها. لك ولمنى ووفاء أحر قبلاتى.

«كامل»

خطابى الخامس

معتقل القلعة فى مايو سنة ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

ألف قبلة وسلام، وشكرًا لك على خطابك الذى أدخل السرور على قلبى. إنك لا تتصورين كم فرحت بخطابك، وكنت حتى الأمس لا أصدق أنك بخير. منذ عودتى إلى القلعة من سجن الواحات والإشاعات تطاردنى عنك وعن إعتقالك. وعن أخى مجدى بل وعن زوجته! ولقد كنت أحيانًا أصدق وأحيانًا لا أصدق، وبقيت فى هذه الحالة التعيسة حتى جاء خطابك.

ياحبوبة أنت ببساطة لا تتصورين كم أحبك، وبالتالى كم أكون قلقًا عندما أسمع أن شيئًا ما قد وقع لك. قد أتحمل أشياء كثيرة فى هدوء، بل أفعل ذلك منذ اعتقالى. فالحياة القاسية فى الواحات لا تهزنى قيد أنملة، وصدقينى عندما أقول لك مخلصًا إن الحياة فى الواحات سيئة، والطعام المكون من العسل الأسود صباحًا والفول النابت ظهرًا ثم العسل الأسود مساء سيئ للغاية. ولقد عشنا هناك فى زنازين طوال اليوم إلا نصف ساعة نخرج فيها لقضاء الحاجة، وليس لدينا كتب أو أية وسيلة تسلية، وكنا ننام على «الأبراش» على الأرض بالرغم من أننا معتقلون سياسيون ولسنا مجرمين أو قتلة!.

هـأنذا أصارحك بكل شىء عن الواحات، ولكن صدقينى وأنا أقول ذلك مخلصًا إن هذا لا يهز أحدنا، فالابتسامة على الشفاه هى هى، والضحكات هى هى، والآمال فى المستقبل لم تتغير. لقد استقبلنا أسوأ استقبال لدى وصولنا إلى

الواحات، وصويت المدافع الرشاشة إلى صدورنا بهدف الإرهاب. ولكن كل هذا لا يؤثر فى المعنويات، ومازالت الضحكات تعلو فى غرف السجن كالعادة، فنحن نعرف أننا ندفع ثمنًا كبيرًا لمعركة طويلة ومريرة. غير أننا واثقون أننا منتصرون فى النهاية مهما طال الوقت. ومن يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا!

إن كل هذا أتحمله فى صبر وهدوء، ولكن هناك شيئًا واحدًا أعترف أنه يسىء إلى أعصابى كثيرًا.. هو أن أسمع خبرًا سيئًا عنك!

يا حبيبتى الجميلة.. إننى أدخل كل يوم محراب حبك أتعبد فيه، وأحس أن أنفاسك قريبة منى، وأن قلبى قريب من قلبك، وأننى قريب من الوردة الحمراء التى أهديتك إياها منذ أكثر من عام. ولست أحب أن أسمع أنك تذوقين دمعة واحدة من أجلى.. يكفينى أن حبك لى باق على الزمن، وأنك الأمل الذى أعيش له من الناحية الشخصية.

إنك تسألين عن موقفى القانونى.. حتى الآن مازال موقفى كما هو. فأنا معتقل بأمر من الحاكم العسكرى ولست على ذمة النيابة. وقد أحضرت إلى هنا لكى تسألنى النيابة بعض أسئلة سخيفة لا تقدم ولا تؤخر عن زياراتى الصحفية إلى سوريا والأردن.. حتى النيابة يبدو عليها أنها غير مقتنعة بما تفعل ولا يبدو أن هناك حماسًا لقضية عاجلة، إن كان من الواضح لى الآن أن هناك قضية على أى حال.. أعتقد أن مصيرنا مرتبط بتطور الموقف السياسى الحالى، وأعتقد أن الأوضاع الحالية لا يمكن أن تطول وأنها لابد أن تحسم بشكل أو بآخر خلال أسابيع.

حبوبة:...

إنك لم تحدثينى عن حياتك أنت! أين تسكنين وكيف تعيشين وأنت مفصولة بلا مورد؟ لماذا لا تقولين كلمة عن ذلك.. أرجوك أن تجيبينى؟

لست أدرى كم سأظل هنا.. ربما أسبوعًا أو أسبوعين أو أكثر، ولكن يبدو أننا سنعود للواحات مرة أخرى. فهنا لا يوجد غير أربعة عشر معتقلاً منهم الصديق محمود العالم. فى الفيوم ٤٠٠ معتقل، وفى الواحات ٢٠٠، وفى سجن القناطر حوالى ١٥٠ كما يقال.

ولقد وقعت فى الفيوم حوادث اعتداءات مؤسفة بالضرب على عدد من المعتقلين، منهم الدكتور فايق فريد والدكتور عبد الرازق حسن. أما فى الواحات فمازال الاحترام متبادلاً ولم تقع حادثة واحدة. ويبدو أن خوادث الفيوم سببها سوء تصرف الإدارة وشراسة البوليس المحلى هناك.

إننى أقضى وقتًا طويلاً فى محاولات لنظم الشعر بالعامية، وقد انتهيت من نظم موال طويل بعنوان «موال علشان عايدة». والمجال لا يتسع هنا لكتابته لطوله وسأحاول ذلك فى خطاب مقبل. أما منى فقد نظمت عنها قصيدة بعنوان «السندباد».

سرنى أن علاقتك بإخوتى تتوطد، وأرجوك تدعيم هذه العلاقة وأن تعتبريهم أهلك حتى يفرج عنى. سلامى لهم واحدًا واحدًا وواحدة واحدة، وقولى لسعاد أن تقبل منى ووفاء نيابة عنى ألف قبلة. لك قبلاتى الحارة وأشواقى.

«كامل»

خطابى السادس

سجن مصر- يونيو سنة ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

مضت أيام منذ زيارتك[١] لى فى السجن! ومع ذلك أشعر أنى مازلت فى حلم لم أفق منه بعد. هل حقًا رأيتك وقبلتك؟ أصحيح أن يدى لامست يدك وأننى تحدثت معك؟ أكاد لا أصدق أن هذا قد حدث حقًا! لقد جئت كالنسيم، وكالنسيم ودعتنى وأنا شبه مذهول لطول البعد والفراق.

أكتب إليك هذا الخطاب وقد أرخى الليل سدوله على كل شىء، وأنا أتقلب فى سريرى لا يغمض لى جفن.. أفكر فى كل ما حدث فى الزيارة، وأسترجع كل كلمة سمعتها منك، وأستعرض كل كلمة قلتها لك، وأستعيد فى ذاكرتى كل ما يتعلق بك أثناء الزيارة: الفستان الجميل، تسريحة الشعر، الوردة الحمراء التى كانت فى يدك، ثم الدبلة، فأفرح وأبتسم وأضحك، ثم أعود لأعيش مع آلام قلبى! إننى أعيش فى عالم كامل خلقه حبى لك، عالم من الأفكار والآمال والعواطف والآلام.

ومن قبل تحملت - إبان حكم الملك السابق فاروق - حياة المعتقل نحو سنتين دون هم أو قلق أو عواطف حقيقية. ولكن شتان بينى هذه المرة وبينى فى المرة الماضية. والفرق هو أنت ياحبيبتى؛ فأنت أمل آمالى وأنا أعيش على أمل شخصى

(١) تمت هذه الزيارة فى يونيو سنة ١٩٥٩ بإذن من نيابة أمن الدولة بعد أن تقرر تقديمى مع آخرين إلى المحاكمة بتهمة العمل على قلب نظام الحكم، وبناء على هذا القرار نقلت من معتقل القلعة إلى سجن مصر حيث بقيت على ذمة القضية عدة شهور.

واحد ياحبوبة.. أن أعود إليك علي حصان أبيض جميل كما وعدتك من قبل لآخذك معى وأضمك إلى صدرى، ولن نفترق بعد ذلك مهما كانت الظروف. وإلى أن أراك مرة أخرى أجد عزائى يا حبيبتى فى شعرى وقصائدى الموجهة إليك. فى العيد نظمت قصيدة «العيد فى الزنزانة» وهى حزينة ولكنها صادرة من القلب، ثم كتبت بعد ذلك «الزنابق البيضاء»، وأرجو أن أكمل ديوانًا كاملاً عنك وأن أطبعه فى المستقبل وأقدمه لك هدية قلبى، تمامًا كما فعل الشاعر الفرنسى أراجون عندما طبع «عيون إلزا». كم كنت أود أن أرسل لك شيئًا من هذه القصائد لولا أنها طويلة، وأعدك أنى سوف أرسلها فى فرصة مناسبة.

لقد سرنى ما أحسسته من علاقة متينة بينك وبين أختى سعاد. إنها إنسانة عظيمة وأنا أحبها حبًا جمًا وأعرف أنها مخلصة لى تمامًا. إننى أعرف أن هذا موقف كل شقيقاتى وأخى محمد، وأرجوك أن توثقى علاقتك بهم إلى أقصى حد. إن هذا سوف يمنحنى عزاء كبيرًا وأنا بعيد عنك.

أسمع هنا أغانى الإذاعة وأتمتع بالأغنية التى تحبينها «قد العمر يطول يا حبيبى، قد العمر يطول.. حاستناك على طول يا حبيبى. حاستناك على طول».. وأسمع كل الأغانى الأخرى التى تبعث الدفء فى قلبى، كما أقرأ روايات وقصصًا قصيرة للكاتب الأمريكى «ارسكين كولدويل» وهى قصص ممتازة تدور حول الحب الإنسانى العظيم ،وكلها تذكرنى بك. كما أحاول أن أشغل نفسى بإعطاء دروس فى الرياضيات للصديق محمد سيد أحمد، وأجد فى هذا العمل نوعًا من المتعة لى فى هذه الظروف.

زوجتى الحبيبة:

لقد تحملت مشاق حياتى هنا فى صبر توازرنى فى ذلك ثقتى فى حبك، وأنا على استعداد لتحمل أضعاف هذا مادمت أشعر أن قلبك قريب من قلبى، وأنفاسك قريبة من أنفاسى.. يا أجمل أغنية عرفتها حياتى. أنت شجاعة ياحبيبتى، ولكل ليل صباح فلا تيأسى أبدًا.

أبدًا سأظل أحلم بك، بالحصان الأبيض والزنابق البيضاء، حتى أضمك إلى صدرى ضمة لا فراق بعدها.

أقبلك وأضمك بقوة.

«كامل»

خطابى السابع
سجن الإسكندرية - أكتوبر سنة ١٩٥٩

زوجتى الحبيبة:

منذ ترحيلنا من سجن مصر إلى سجن الإسكندرية استعدادًا لتقديمنا إلى المحاكمة العسكرية أمام المجلس العسكرى، مرت بنا أحداث عديدة فى السجن. والحقيقة أننا ودعنا وداعًا غريبًا ونحن نغادر سجن مصر، فأصر مأمور السجن شوقى القطشة على استفزازنا دون سبب واضح. ويبدو أن هذا كان نوعًا من التمهيد لما كان فى انتظارنا فى سجن الحدرة بالإسكندرية.

فعند وصولنا إلى هناك وجدنا كل مصلحة السجون فى انتظارنا، وعلى رأسهم مدير سجن الحدرة اللواء الحلوانى. ولقد عرفت الحلوانى عام ١٩٤٨ وهو ضابط صغير عندما قضيت فى هذا السجن بضعة أسابيع، وكان آنذاك آية فى الدماثة والخلق الطيب. ولذا أدهشتنى شراسته هذه المرة، وإصراره على استفزازنا فى فناء السجن ونحن لم ندخل العنابر بعد. ولقد وقع منى حذاء كنت أحمله فى يدى بعد أن مزقة الحراس فإذا به يثور ثورة عارمة لهذا السبب التافه ويصيح بى وكأنه يتذكرنى «طول عمرك متعب».

علـى أى حـال لقد صممنا - نحن الواحد والستون المقدمون للمجلس العسكرى - على تفويت هذه الفرصة عليهم وتصرفنا فى هدوء ولباقة، ومرت العاصفة بسلام.

ومن يدرى... فربما كان الموضوع كله مجرد استعراض عضلات ولم يكن الاعتداء علينا مقصودًا خصوصًا أننا سنمثل أمام المحكمة بعد أيام، وسوف يضع الاعتداء علينا هيئة المحكمة فى موقف مخجل يصعب أن تتصرف فيه.

إننى لا أخفيك تشاؤمى من هيئة المحكمة.. فما معنى أن يقدم سياسيون إلى مجلس عسكرى يرأسه مدير سلاح المدفعية إلا إذا كان البطش بهؤلاء السياسيين مقصودًا؟

وما هى الجريمة التى ارتكبناها والتى تتصل بالناحية العسكرية؟ وأين هو القضاء المدنى يا ترى؟ هل هو فى إجازة أم ماذا!

ويبدو أن ما بدا من المحكمة خلال الجلسات حتى اليوم يدعم هذا التشاؤم، ولكننا صممنا على أن نفضح هذه المحاكمة الهزلية وأن نعلن رأينا السياسى فى وضوح مهما كانت النتائج. وقد تم هذا إلى حد كبير مما أدى إلى توتر الجو بين المحكمة وبيننا، كما لم ندخر جهدًا فى فضح رئيس نيابة أمن الدولة على نور الدين خلال الجلسات مما أدى إلى انسحابه بعد دقائق من بدء مرافعته.

ولقد ساعد على تعقد الموقف بالنسبة لنا تدهور الموقف فى العراق بعد انقلاب الشواف الفاشل، ولجوء الحكومة العراقية إلى إعدام عدد من الضباط العراقيين، وانقلاب القوى الوطنية بعضها ضد بعض فى بغداد. ولا شك أن كل هذا سيكون له انعكاسه السيئ على أحوالنا، وهو ما كنا نرجو ألا يحدث، وكنا دائمًا نشدد على أن المستفيد الوحيد من صراع القوى الوطنية بعضها ضد بعض هو الاستعمار. ولكن يبدو أن صيحاتنا قد ذهبت هباء، وأننا سوف نحصد ثمار سياسة لم نوافق عليها فى يوم من الأيام!

لن أحدثك طويلاً عما أخبرتنى به سعاد أختى فى الجلسة بخصوص موضوع المكافأة التى صرفت لى بمناسبة فصلى من عملى «المساء»، وإصرارك ألا تمدى يدك إلى مليم من هذه المكافأة. إننى فى غاية التأثر من موقفك النبيل فى هذه المسألة، وهو موقف لا يصدر إلا عن إنسانة عظيمة كبيرة القلب مثلك. لقد قال الصديق محمود العالم فى إحدى الجلسات «إنك تعيشين معنا فى الزنزانة» وهو

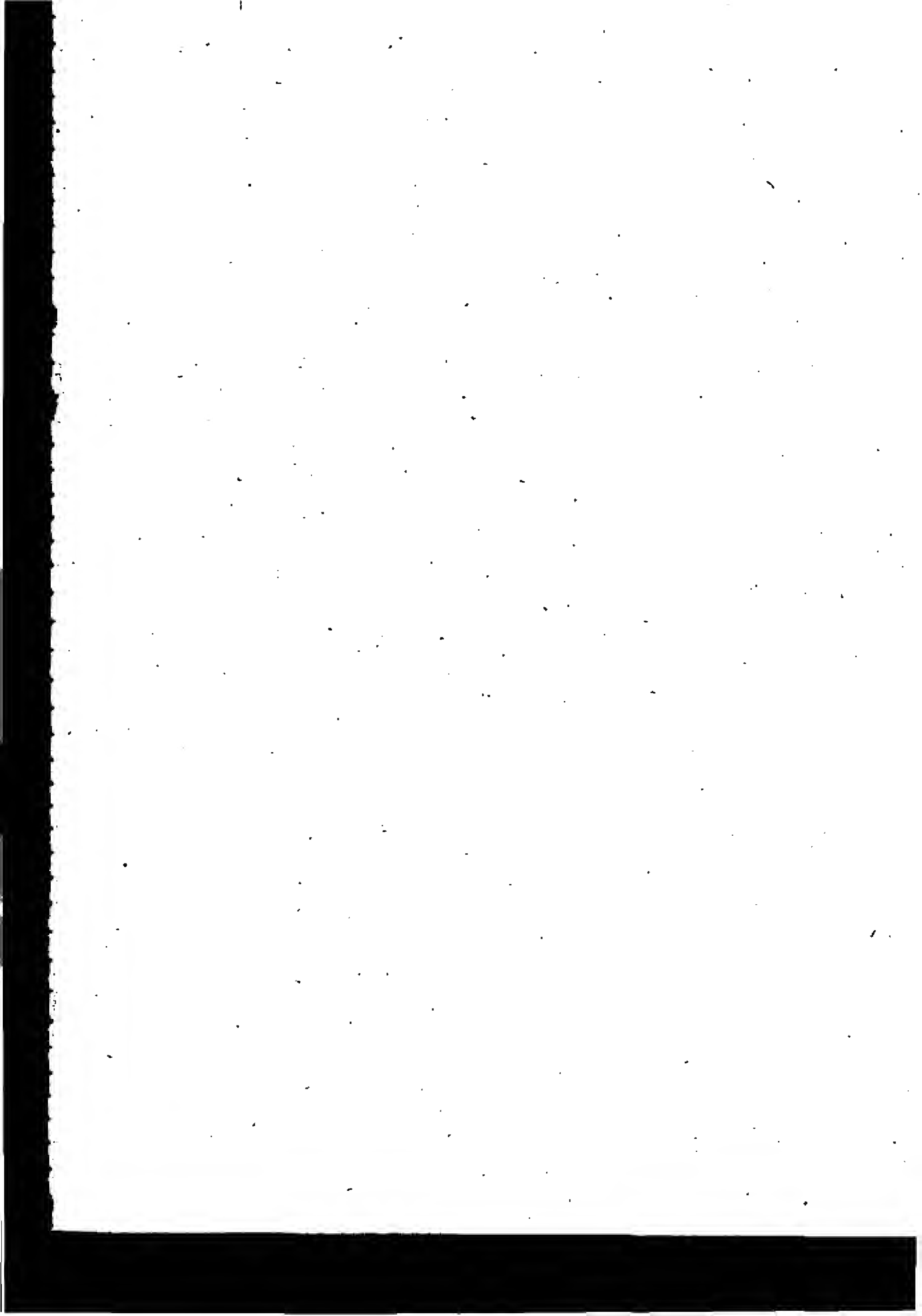
كلام لا مبالغة فيه.. وقال لك أيضًا «أنت بطلة» عندما عرف منى ما عرف من تاريخ حياتك وظروفك العائلية، وهو أيضًا كلام لا مبالغة فيه، وأنا سعيد أن أجد من يشاركنى رأيى فيك. إن وجود محمود العالم معى فى زنزانة واحدة يخفف عنى كثيرًا فهو صديق عظيم يعرف للصداقة معناها، وأنا أحس أنه أقرب الزملاء إلى قلبى وأنى أقرب الناس إلى قلبه.. وفى هذا عزاء وأى عزاء.

لا تنسى أن تأخذى من المحامى كل الوثائق التى أعطيتها له خلال إعداد دفاعه، وأن تمرى على الدكتور الشافعى لأخذ نسخة من رسالة الدكتوراه التى كان قد استعارها منى.

لا أعلم متى يصلك هذا الخطاب.. ربما يصلك فى ذكرى يوم قراننا ٥ نوفمبر. فى هذه المناسبة أرسل لك خالص حبى وامتنانى للسعادة التى غمرت حياتى بهذا القران، سوف أحاول أن أرسل لك برقية من السجن يوم ٤ نوفمبر إن كان هذا ممكنًا.

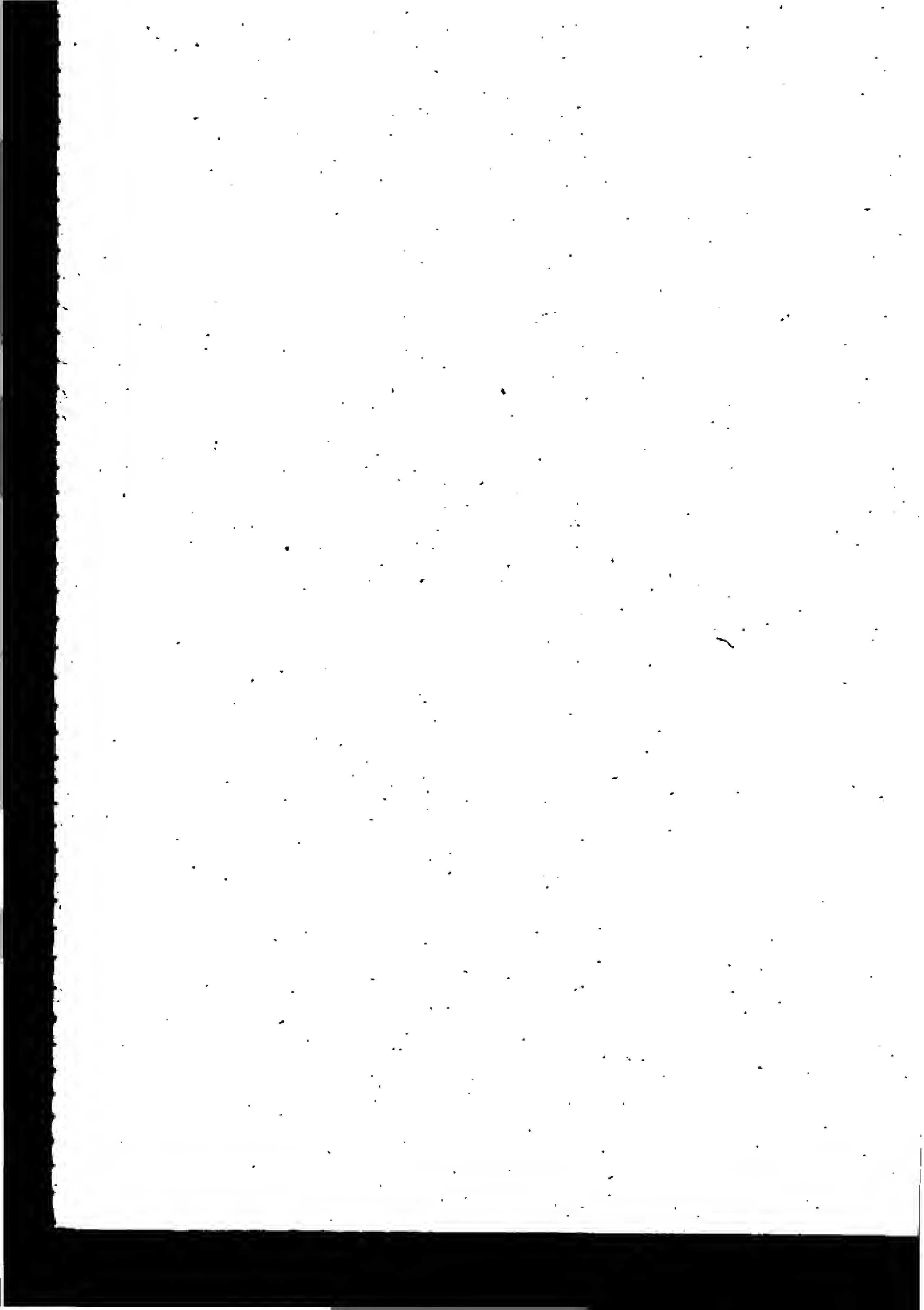
سلامى وتحياتى إلى السيدة الجليلة عمتك ودادة ناعسة وخالتك اعتماد، ولك أحر قبلاتى.

«كامل»



الفصل الثانى

أوردى أبو زعبل



خطابى الثامن

أوردى أبو زعبل. سبتمبر سنة ١٩٦٠

زوجتى الحبيبة

هـأنذا أرسل لك هذه الرسالة بعد غيبة طويلة منذ أن أرسلت لك خطابى خلال المحاكمة أمام المجلس العسكرى بالاسكندرية فى أكتوبر الماضى، ولقد مضى على خطابى هذا نحو عشرة شهور اجتزنا فيها تجربة طالت وكأنها عشر سنوات! أعنى تجربة الأوردى بما تعنيه من تعذيب يومى، وإهدار لآدمية المعتقلين، وعمل كالسخرة فى جبل أبو زعبل، ثم قتل لعدد من زملائنا. إنها باختصار تكرار لما صنعته النازية فى خصومها السياسيين فى معتقلات أوربا المشهورة، ولم يكن لينقصها لتصبح الصورة مطابقة تماما غير غرف الغاز!

لقد انتهت هذه التجربة الآن وعدنا إلى آدميتنا من جديد، ولعلك أدركت من خلال زيارتك لى فى الشهور الأخيرة مبلغ السوء الذى وصلت إليه حالتى الصحية، غير أنى اليوم أسترد صحتى بالتدريج فلا تقلقى، ولكن ما يقض مضجعى حتى اليوم أن شهدى عطية، بمصرعه الفاجع فى الأوردى تحت سياط التعذيب، هو وحده الذى فدانا جميعا، ولولا مصرعه وما أثار من ضجة خارجية لاستمر التعذيب حتى اليوم، ولاستطاب كثير من المسئولين هذا الحال.

ومن قبل قتلوا الدكتور فريد حداد ببساطة وكأنهم يؤدون عملا عاديا، وهؤلاء القتلة معروفون ويعيشون بينكم لا يعذب أحد منهم ضمير ولا تمتد إليه يد قانون!

إن قتلة شهدى وفريد حداد هم اللواء إسماعيل همت وكيل مصلحة السجون والعميد إسماعيل طلعت مدير سجن أبو زعبل، ثم أولا وأخيرا الضباط حسن منير وعبداللطيف رشدى ويونس مرعى، هؤلاء الثلاثة هم الجلادون المباشرون، ولكنى لا أشك أن وراء هؤلاء يقف رجال المباحث العامة بقيادة حسن المصيلحى وبعض رجال وزارة الداخلية، ولست أستطيع أن أصدق أن المسئولين فى مصر لم يكونوا يعرفون ما يجرى فى أبو زعبل خلال الفترة من نوفمبر سنة ١٩٥٩ إلى يونيو ١٩٦٠.

لا أدرى كيف أبدأ فى رواية القصة الإجرامية التى وقعت هنا.. خلال هذه الفترة أرسلت لك عددا من الخطابات بمعرفة إدارة السجن، ولعلك لاحظت أن كل خطاب لم يزد عن ثلاثة سطور أسأل فيها عن أحوالك وأحوال منى ووفاء وإخوتى، وأطلب إرسال بعض النقود، لقد تعمدت هذا لأن الخطابات كتبت خلال أسوأ ظروف وإبان فترة التعذيب، ولم يكن لدى ما أقوله.. أو بمعنى أصح لم يكن ممكنا كتابة ماأريد أن أقوله!

●●●

لقد رحلنا من سجن مصر يوم ٧ نوفمبر.. ولا أدرى إن كان لاختيار هذا التاريخ معنى خاص عند رجال المباحث، ولكنى أعلم أن إعدادنا لما كان ينتظرنا فى أوردى أبو زعبل قد بدأ ونحن واقفون فى فناء سجن مصر ننتظر الترحيل، فقد أخذ مأمور سجن مصر شوقى القشطة فى استفزازنا بدون مبرر، وكسر بنفسه أشياء كثيرة من لوازمنا المتواضعة التى نحملها من سجن إلى سجن، وعندما وصلت العربة التى حشر فيها الواحد والستون إلى أوردى أبو زعبل، فوجئنا بفرقة من الخيالة على جيادهم، ثم صفين من الجنود يحملون العصى الغليظة على باب الأوردى وداخله، وكانت التعليمات أن ينزل كل واحد منا بسرعة وأن يخلع ملابسه على باب الأوردى.. كل ملابسه حتى يصبح عاريا كما ولدته أمه، وأن يأخذ بسرعة برشا وبدلة سجن بيضاء ويهرع إلى العنبر، وكان أساس العملية هو المفاجأة الكاملة وشل الذهن عن التفكير حتى لا يجد إنسان فرصة ليحتج أو يناقش، وبطبيعة الحال لم يستطع معظم المعتقلين أن ينجزوا هذه المهمة

فى سرعة وكانت النتيجة أن قام الجنود بضربهم وهم عرايا بالعصى الغليظة فضلا عن الإهانات اللفظية.

وكان مهزلة وما أبشعها من مهزلة، ومع ذلك فإن «حفلة الاستقبال» كما واجهناها لم تكن شيئا بالمقارنة ب «حفلة الاستقبال» التى أعدت لدفعة شهدى عطية فى يونيو الماضى، والتى مات فيها هذا الصديق العزيز، فضلا عن الزملاء الآخرين الذين ظلوا فى حالة خطرة لعدة أيام بعد ذلك.

وفى اليوم التالى لوصولنا بدأ روتين الحياة المعدة لنا.. نقوم فى الصباح ونذهب ونحن حفاة فى طابور إلى جبل أبو زعبل لتكسير الأحجار، ويستمر العمل حتى الظهر حيث نعود إلى الأوردى، ويقفل العنبر علينا حتى صباح اليوم التالى، والطعام الذى يقدم لنا هو أسوأ ما يتصوره إنسان فى حياته: عسل أسود فى الصباح، فول نابت فى الظهر، ثم خضار لا طعم له وقطعة لحم تثير القرف فى المساء. وخلال كل يوم تقريبا ينتقى عدد من المعتقلين لاستفزازهم وضربهم ضربا مبرحا ووضعهم فى زنزانة انفرادية مغطاة بالماء البارد، ولا أغطية لمدة يومين أو ثلاثة، وكثيرا ما يفتح العنبر فى الصباح أو بعد الظهر، وفجأة تدخل فرقة من الجنود بحجة تفتيش العنبر، وكان علينا أن ندير وجوهنا إلى الحائط أثناء التفتيش، ثم فى ختامه كان علينا أن نحنى ظهورنا كأننا راكعون فى صلاة ثم يدور كل واحد منا حول نفسه مرات ومرات حتى يأمر الضابط بالتوقف، وبالطبع خلال هذه العملية الهزلية يضرب الجنود عددا من المعتقلين كيفما اتفق، إنها عملية تثير الضحك، وحتى الآن لم أفهم المقصود من هذه التعليمات.

كان الجو الظاهرى أننا نعيش فى أبو زعبل حياة عسكرية، والجو الحقيقى المقصود هو التنكيل.. ومازلت أذكر أننا خرجنا مرة لطابور «رياضة» وخلال هذا الطابور طلب منا حسن منير أن نهتف باسم عبدالناصر وأن نغنى أناشيد وطنية، فلما اعترض الدكتور إسماعيل صبرى عبدالله قائلا إننا لا نفعل هذا بناء على أوامر انهالوا عليه بالعصى حتى فتح رأسه!

وبطبيعة الحال كان لابد أن يأتى دورى ودور محمود العالم! وفى المرة الأولى عندما رفعت صوتى مبديا ملاحظات متواضعة على بعض ما يحدث، أخذت أنا

وزميل آخر إلى الغرفة الانفرادية، وبقينا هناك حتى جاء حسن منير مأمور الأوردى، فإذا به يعيدنا إلى العنبر دون عقاب، وكان لهذا الموقف فرحة وأية فرحة فى كل العنبر، فقد بدا وكأنه نصر لنا! وفى المرة الثانية لاحتجاجى أخذنا إلى جبل أبو زعبل، وبدأ العدوان على بشكل مكثف على يد فرقة من الجنود يقودها الصول مطاوع، واستمر الحال على ذلك حتى أغمى على من شدة الضرب، وحملنى زملائى على أكتافهم وأنا فى شبه غيبوبة إلى العنبر، ثم نقلت إلى غرفة «الملاحظة الانفرادية» المخصصة للمرضى، وبقيت فيها عشرة أيام بين الحياة والموت فى الأيام الأولى، ولقد كان من حسن حظى أن الطبيب الذى جاء لعيادتى كان زميلا لى فى المدرسة الثانوية، وهالته حالتى فى اليوم الأول حتى أغرورقت عيناه بالدموع تأثرا، وظل يواظب يوميا على التردد على مرتين ويحضر أدوية خاصة من عنده حتى اطمأن على حالتى، وبطبيعة الحال لم تكن الإدارة تدرى أن الطبيب زميل سابق لى فى الدراسة وأن هذا هو مصدر اهتمامه الكبير بى، وأحيانا كثيرة أحس أنى مدين بحياتى لهذا الرجل النبيل.

لن أطيل عليك أكثر من هذا، يكفى أن أقول لك إن من مبررات هذه المعاملة الوحشية التى قيلت آنذاك على لسان بعض الضباط هو موقف الزملاء الجرىء أثناء المحاكمة بالإسكندرية، فنحن كمجموعة لم نخف انتقادنا السياسى للحكومة ولسياسة عبدالناصر فى قضيتى الوحدة والديمقراطية. ولكننى لا أستطيع قبول هذا التبرير بسهولة، لأن قضية شهدى عطية (وكان من المعروف أن زملاء هذه القضية على عكسنا لا يخفون تأييدهم شبه المطلق لسياسة عبدالناصر آنذاك) قد لقيت على باب الأوردى استقبالا أتعس بكثير من استقبالنا، وأن شهدى نفسه قد ضرب حتى الموت، ولقد كنا داخل عنابرنا عندما وصلت دفعة شهدى، وبطبيعة الحال لم نر شيئًا يذكر بأعيننا، ولكننا سمعنا كل شىء! فقد كان المطلوب من كل واحد منهم أن يهتف بسقوط الشيوعية، وأن يذكر اسمه بصوت عال، وأن يقول: «أنا مره».. الخ. وعندما رفض شهدى وآخرون كثيرون تنفيذ هذه التعليمات المخزية انهالوا على رأسه بالضرب حتى الموت، ويبدو أن موت شهدى كان مفاجأة لإسماعيل همت وحسن منير والآخرين، وإذا بهمت يستقل سيارته

ويمضى هاربا إلى القاهرة، وإذا بحسن منير يضع الجبس على ذراعه مدعيا أمام النيابة أن المعتقلين هجموا عليه وضربوه وكسروا ذراعه، وأنه هو وجنوده كانوا يدافعون عن أنفسهم.

بعد وفاة شهدى وما أحدثته من ضجة جاءت النيابة بأعداد كبيرة، وتولت التحقيق صباحا ومساء، وفجأة تغير جو المعتقل تماما! وقد طلبت أنا والدكتور إسماعيل صبرى عبدالله سماع أقوالنا فى مقتل شهدى، وأجابت النيابة طلبنا، وكان منظرا مخزيا للضابط حسن منير عندما أتوا به لتقوم النيابة بتجربة التعرف على صوته وأنا داخل العنبر كما ذكرت فى التحقيق، لقد رأيته كالفأر المتهالك، ولم يجرؤ على أن ينظر إلى، بل كان مطرقا رأسه إلى الأرض طول الوقت. وقد وضعتنى النيابة فى غرفة مقفلة، وطلبت منه ومن ضباط آخرين أن يرفعوا صوتهم بجمل من التى كانوا يقولونها للمعتقلين فى حفلة الاستقبال، وفى كل مرة تعرفت على صوته فى يسر دون أن أراه، وبطبيعة الحال نقل حسن منير فى اليوم التالى لوفاة شهدى حتى لا يفتك به المعتقلون!

إن الضجة التى حدثت عند وفاة شهدى كانت أمرا طبيعيا، ولكن الغريب أن الدكتور فريد حداد قد قتل داخل الأوردى قبل شهدى بشهور، ولم تحدث وفاته ضجة ما!

إنك تذكرين بالطبع الدكتور فريد حداد، هذا الطبيب الشهم الذى تولى علاجى وعلاجك وعلاج عمتك قبل اعتقالى أكثر من مرة، كم كان وديعا، طيب القلب، عظيم الإنسانية! تستطيعين أن تتصورى صدمتى عندما أخرجنا من العنبر ذات يوم لاستلام طعامنا ونحن نجرى كالعادة، ولمحت أمام الزنزانة الانفرادية رجلا فى ملابس السجن ملقى على الأرض، وهو يبدو فى حالة إغماء، لم أتيقن فى أول الأمر من هو هذا الإنسان، وإن كنت واثقا أننى أعرفه، ثم بدأت أعى أن هذا هو فريد حداد، ومع ذلك لم أتيقن آنذاك إن كان قد مات عندما رأيته أو أنه مغمى عليه فحسب، فلما سمعنا فى اليوم التالى أن أحد المعتقلين قد مات، كانت الصدمة بالنسبة لى فظيعة، وبقيت فى حالة نفسية سيئة عدة أيام.. ولست أشك لحظة أن يونس مرعى هو المسئول عن قتل فريد حداد، فقد كان

الضابط الوحيد الموجود بالأوزدى عصر ذلك اليوم، وقد سمعنا ـ نحن في العنبر ـ صوته وهو يعتدى بالضرب على قادم جديد لم نكن نعرف من هو!

إلى جانب هذا القتل والتعذيب ساءت أحوال المعتقلين الصحية بسبب سوء التغذية، وكثيرون مرضوا وأوشكوا على الموت بسبب انتشار الأمراض، ولم يتحرك أحد رغم كل هذا، لقد عشنا فى حالة مجاعة كاملة لمدة ثمانية شهور لا يعطوننا إلا ما يكفى للإبقاء علينا على قيد الحياة فحسب.

أما مهانات العمل فى جبل أبو زعبل فهى عديدة.. صفوة من مثقفى مصر مثل د. لويس عوض، والدكتور عبدالرازق حسن، والكاتب المسرحى ألفريد فرج، والرسام حسن فؤاد، والناقد محمود أمين العالم، والدكتور فؤاد مرسى، والدكتور فوزى منصور، والدكتور إسماعيل صبرى عبدالله.. إلخ، وغيرهم كثيرون يساقون كل يوم إلى الجبل حفاة شبه عراة فى أقسى أيام الشتاء لكسر حجارة أبو زعبل، بالإضافة إلى عشرات من القادة النقابيين وقيادات الطلاب.

ومع ذلك يجب أن أقول إننا تعلمنا حرفة مفيدة، وإننى فى نهاية الأمر أجدت قطع الأحجار إلى قطع صغيرة كما كان مطلوبا لرصف الشوارع، وكنت أحيانا أقول ضاحكا «صنعة فى اليد أمان من الفقر»! أما الأمر الثانى الذى أردت أن أذكره لك فهو تجربتى المثيرة فى تدريس الرياضيات العالية للصديق محمد عباس سيد أحمد فى ظل هذه الظروف السيئة! لقد صمم محمد على إعطائه محاضرات داخل العنبر فى موضوعات كنت أقوم بتدريسها لطلبة البكالوريوس فى جامعة لندن فى عامى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦. ولم تكن هناك سبورة أو طباشير أو ورق أو قلم، وكان قد مضى على إعطائى هذه المحاضرات عامان على الأقل، وكنت قد نسيت المعادلات والبراهين.. إلخ. ومع ذلك فقد كان لتصميمه وإلحاحه الفضل فى بدء محاولات التذكر. وقد ظللت أسابيع أتعثر فى محاولات التذكر هذه، وفجأة بدأت خيوط الموضوع تعود، كأن شلة خيط كانت معقدة ثم حلت، وانسابت الذاكرة صافية بكل تفاصيل البراهين كما كنت أعلمها للطلاب، إن العقل الإنسانى غريب فى تخزينه للمعلومات وفى استرجاعها، والأغرب هو أن يتم ذلك فى مثل هذه الظروف القاسية، ولقد كان الصديق محمد يخفى فى

ملابسه كل قطع الأحجار الطباشيرية التى يجدها بالجبل لنكتب بها على بلاط العنبر معادلات رياضية بالغة التعقيد ثم نمسحها بسرعة خوفا من أن نفاجأ بدخول الضباط أو الجنود إلى العنبر، وعندئذ قد يظنون أننا نكتب شفرة سرية!؟

لقد انتهت هذه المرحلة.. بكل ما فيها من مهانات وتعذيب وأشياء قليلة إيجابية، وإذا كنت قد صممت على كتابتها لك فلكى تعرفى كيف وصل بنا الحال فى مصر فى معاملة المعتقلين السياسيين، وكيف كان على أنا وزملائى أن نتحمل هذه التجربة البشعة فى صبر وتماسك، وأحمد الله على أن كل هذا قد انتهى، وأرجو إلى غير رجعة!

ولكنى أظل أفكر فى شهدى وفريد كثيرا، وأفكر فى زوجتيهما وأولادهما..

ما أعظمها من خسارة، وما أروعه من مثل!

أقبلك وأضمك بقوة.

«كامل»

خطابى التاسع

سجن الواحات فى أغسطس سنة ١٩٦١

زوجتى الحبيبة

أبعث إليك بأشواقى وقبلاتى الحارة.. أرسلها إليك من سجن الواحات الخارجة الذى وصلت إليه منذ أيام. وأغرب ما فى الموضوع أننا - أعنى كل من كانوا فى قضية أكتوبر سنة ١٩٥٩ - استدعينا منذ أسابيع قليلة فى أوردى أبو زعبل للمثول أمام نائب الأحكام فردا فردا لنسمع الأحكام التى أصدرها المجلس العسكرى فى قضيتنا، فلما جاء دورى دخلت وأنا قليل الاهتمام بما سيقوله نائب الأحكام، وإذا به ينطق الحكم ببراءتى وأنا أقف أمامه فى ملابس المعتقل عارى القدمين، ثم قال «مبروك» فلم أجد ما أقوله غير كلمة «متشكر»، واستدرت عائدا إلى العنبر.

بعد هذه المقابلة الغريبة بأيام تم ترحيلنا إلى الواحات.. الذين صدرت أحكام ببراءتهم والذين صدرت أحكام بإدانتهم، وكان الفرق الوحيد بين هؤلاء هو لون بدلة السجن، فأنا معتقل فى بدلة بيضاء وغيرى مسجون فى بدلة زرقاء!

صحتى طيبة وأرجو ألا تكونى قلقة على، وأرجو أن ترسل لى سعاد المبلغ الشهرى فى أقرب وقت لأننى فى حاجة إلى نقود، وخصوصا أن لدينا هنا «كانتين» لشراء السجائر والمعلبات، ولا داعى لإرسال أدوية الأرتكاريا لأن حالتى تحسنت وأوشكت الحساسية على الاختفاء. ومن الممكن إرسال طرد به بعض

الفيتامينات والأدوية المقوية، ولكن لا داعى لإرسال طرد آخر حتى أخبركم بحاجتى إليه.

أبلغى إخوتى ـ وخصوصا سعاد ومحمد ـ أنى بخير وأنه لا داعى للقلق على من أية ناحية، أما أنت فإننى دائم التفكير فيك وفى أحوالك، ولعلك تكونين فى خير حال صحيا ونفسيا، ولعلك تكونين قد أفلحت فى الذهاب إلى المصيف هذا العام، وأرجو أن تؤكدى لسعاد ومحمد أهمية السؤال الدائم عن منى ووفاء.

ختاما أهدى سلامى إلى اعتماد والسيدة الجليلة عمتك وخالتك وزوجها، وكذلك مصطفى وصفية وجميع إخوتى لهم شوقى وشكرى، وفى النهاية أرجو أن تتقبلى خالص محبتى.

«كامل»

خطابى العاشر

سجن الواحات فى ديسمبر ١٩٦١

زوجتى الحبيبة:

تعمدت أن أرسل هذا الخطاب مبكرا بأمل أن يصلك فى يوم عيد ميلادك أول يناير حتى أقول لك: كل سنة وأنت طيبة يا حبوبة، وعقبال مائة سنة! بس يكونوا فى سعادة وسرور وتتحقق فيها كل آمالك الجميلة لنا ولبلادنا العزيزة.

والحقيقة أن هذا الخطاب هو تهنئة بعيدين.. عيد ميلادك وعيد رأس السنة الجديدة، وكم كنت أتمنى أن أكون معك لكى أعبر لك بنفسى عن مقدار حبى لك وثقتى فيك وفى المستقبل مهما كانت الأحوال سيئة مؤقتا. إن إيمانى بالمستقبل لا يعدله إلا إيمانى بك، وقد انقضت ثلاث سنوات على فراقنا ربما تطول إلى أربع أو خمس سنوات.. لا أدرى، ولكنى صبور ونفسى طويل، وأعتقد أنك كذلك. ولقد احترت ماذا أقدم لك من هدية وأنا بعيد ليس لدى شىء أقدمه، ولم أجد إلا أن أنظم قصيدة لك كهدية متواضعة أرجو أن تنال بعض رضاك.

إن الحياة تمضى رتيبة ومملة، رغم أن ظروف السجن هنا أفضل من أوردى أبو زعبل، فالسجن واسع الفناء، وتعليمات المباحث لا تنفذ بدقة لبعد المكان عن القاهرة واطمئنان الإدارة أنه ليس بوسع أحد من المسئولين أن يحضر هنا للتفتيش دون أن يعرفوا سلفا بحضوره، ومن الناحية العملية فإننا معا طوال النهار إما فى العنابر أو فى فناء السجن الواسع حيث أمارس هوايتى بالمشى. والطعام

سيئ بوجه عام لا يخرج عن طعام السجون الاخرى.. إلا أن وجود الكانتين يسمح لنا بإدخال بعض التحسينات عليه، كما أن الإدارة تسمح لبعض زملائنا من ذوى الخبرة بالاشتراك فى طهى الطعام بمطبخ السجن والإشراف على توزيعه وعلى صناعة العيش فى فرن السجن.

ومع ذلك لا أخفيك ضيقى من الحالة فى المعتقل، ولعل السبب الأساسى فى هذا هو اتساع الانقسامات السياسية بين المعتقلين، وبعضهم وصل به الهوس السياسى فى تقييم حكم عبدالناصر وأساسه الاجتماعى إلى درجة السخف الذى ليس بعده سخف. فتارة يقولون إنه حكم رأسمالية الدولة الاحتكارية، وتارة يقولون إنه حكم البورجوازية الكبيرة، عاجزين عن أن يفسروا بهذا التحليل الغريب أيا من القرارات الثورية التى أصدرها عبدالناصر فى الفترة الأخيرة، والأسوأ من ذلك أن الخلافات السياسية تحولت أحيانا إلى حملات شخصية وإيهامات مؤلمة من بعضنا ضد البعض الآخر. الحقيقة أننى حزين لهذا الجو المؤلم.

أخيرا وددت أن أحدثك عن مزرعة السجن.. على بعد عدة كيلو مترات من مبنى السجن توجد مزرعة نخرج إليها فى كثير من الأيام فى رفقة الحراس.. ويحاول كثير من الزملاء المختصين فى شئون الزراعة (وعلى رأسهم حسين طلعت الذى كان شاهد زواجنا) أن يبذلوا جهدا مخلصا فى زراعة بعض الخضراوات التى نحتاجها مثل الطماطم والقتة والفول.. إلخ، إلا أن المحصول محدود بالقياس إلى هذا العدد الضخم من المعتقلين والمسجونين. وبطبيعة الحال أحاول أن أساعد، وإن كان اهتمامى بشئون الزراعة ضعيفا وليس لى بها خبرة، ولقد كنت أتمنى لو كانت هناك مكتبة فى داخل السجن لتشفى غليلى إلى القراءة. هناك عدد من الكتب لدى بعض المسجونين، ولكن معظمها سطحى وبقصد التسلية وقتل الوقت.

لقد اشتد البرد هنا خصوصا فى المساء، وليس لدى ملابس شتوية، لذا أرجو أن ترسلى لى بلوفر بكم طويل وبعض الملابس الداخلية الشتوية.

إننى لم أستلم منك أو من إخوتى خطابات منذ مدة طويلة، ولا أدرى ماذا يعنى هذا، فإن كنتم قد أرسلتم لى خطابات وحجزت هنا من جانب الإدارة فيمكنكم مراسلتى باسم المسجون الشيوعى «سعد ...»؛ لأن المسجونين هنا (لا المعتقلين مثلى!) مسموح لهم رسميا باستلام خطابات من ذويهم فى أى وقت، ومهما كان عدد الخطابات. وسوف يصلنى الخطاب فورا بعد ذلك لأن سعد لا يتوقع خطابات من أحد، ويمكنك التوقيع باسم نادية أو عنايات مثلا، وطبعا سيعرف سعد من التوقيع أننى المقصود بالخطاب.

كونى طبعا متحفظة فى معلومات خطاباتك (وليس فى العواطف!) ويكفينى التلميح حتى أفهم، إننى على أحر من الجمر لاستلام كلمة منك ومن إخوتى فتحية وسعاد ومحمد.

أرجو ألا يكون خطابى الأخير قد ضايقك، فلم أكتب إليك إلا بالصراحة التى تليق بنا، ولم يدفعنى لكتابته إلا حبى الشديد لك الذى تعرفينه.

أضمك بقوة وأقبلك..

«كامل»

السندباد

بنتى ياللى انتى فى شوق

لى فى الليلة الطويلة

وانت سهرانة وعليلة

لو بايدى كنت فوق

راسك الحلوة الجميلة

افتكر لك فى الحكاية

اللى كنتى تعشقيها

وابتديلك م البداية

وانتى تبقى فى النهاية

نايمة فى حضن السلامة

وابتسامة..

حلوة تجرى فوق شفايفك

تأسرى بيها اللى شايفك

واحكيلك ع السندباد

اللى عاد..

من سياحاته البعيدة

اللى شاف دنيا جديدة

والتقى كنز العقيق

مخفى فى البحر الغميق

بنتى ياللى انتى حزينة

عن غيابى

تسألى عنى المدينة..

وتقول ليلها:

بابا فينه وفين صحابه

اللى غابوا

نايه فينه وفينه غابه

اللى كان ينشد عليهم

لى عن ألحان المحبة..

يا حبيبتى...

والمدينة اليوم غريقة

مش حاتسمعلك دقيقة

مش حاتحكيلك حقيقة

لو بأيدى كنت قلدت الحمامة

وهى نازلة بالسلامة

فوق إيديك

وحكيتلك ع الحكاية

من البداية للنهاية

بس ابوك...

إيده مربوطة فى حديد

رجله محطوطه فى حديد

ضهره محنى م الجريد

عينه بتبص لبعيد

جوه ليل كله سواد

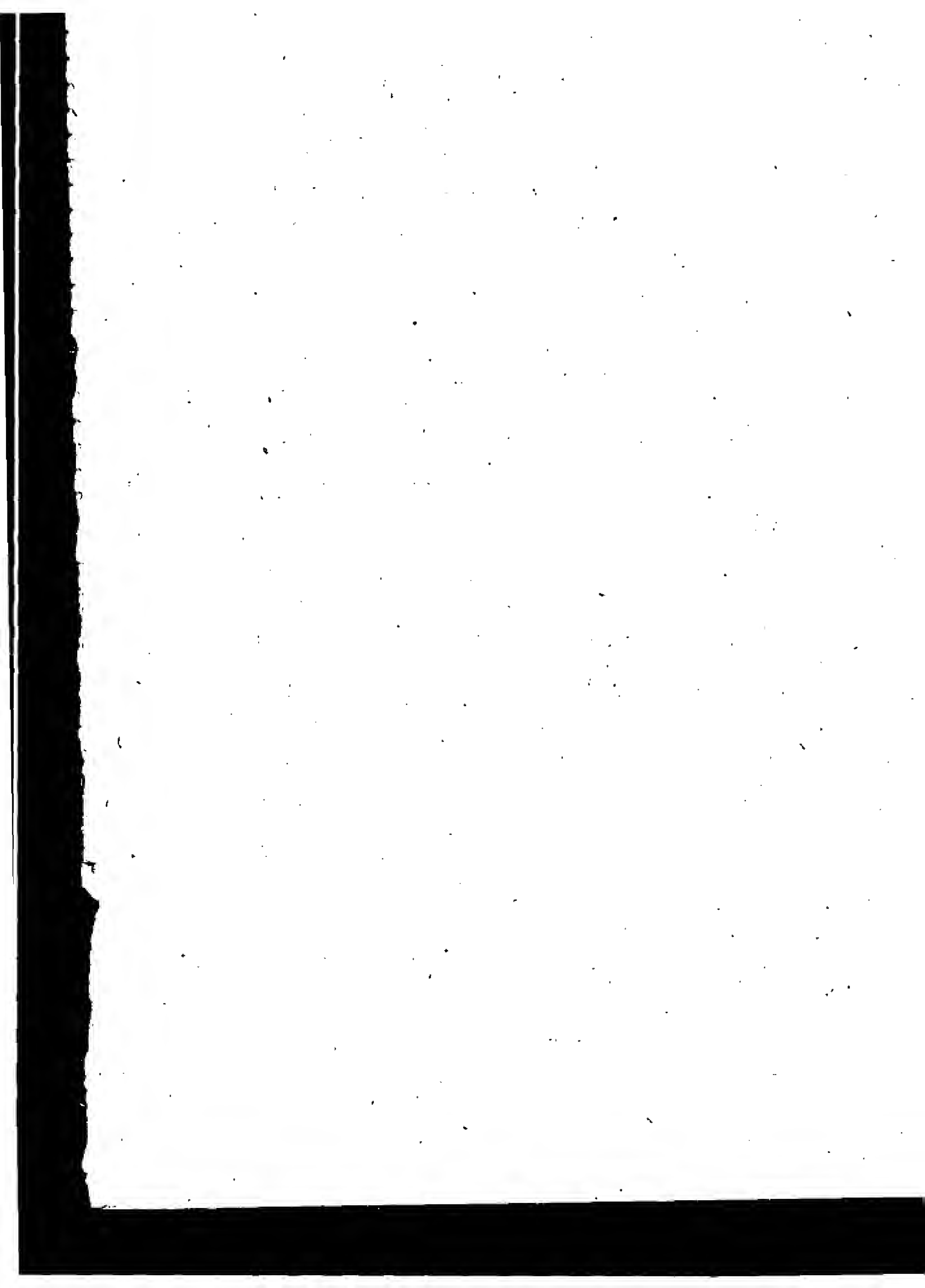
بكره ييجى السندباد

من سياحاته البعيدة

اللى شاف دنيا جديدة

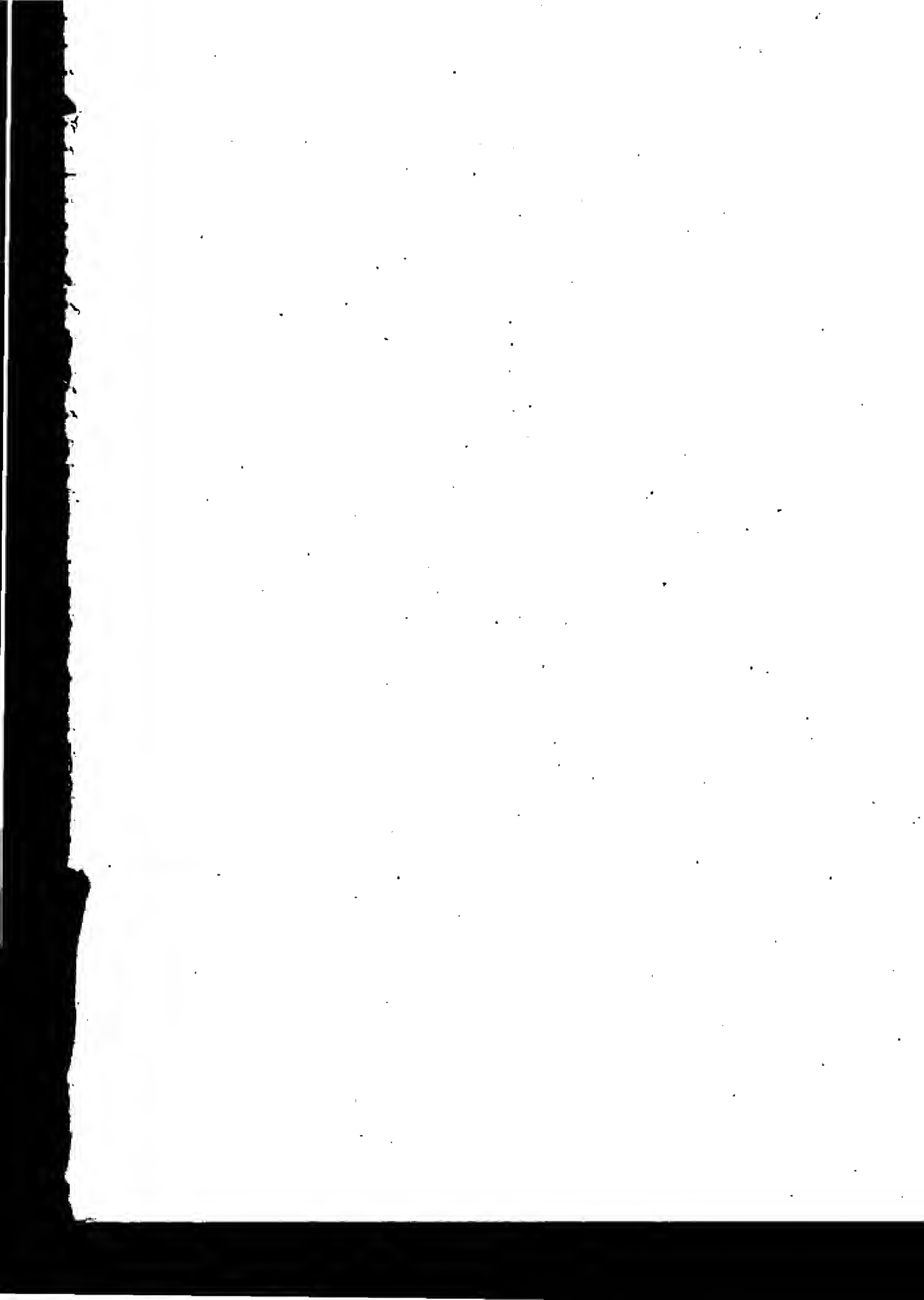
والتقى كنز العقيق

مخفى فى البحر الغميق.



الفصل الثالث

الإقامة فى الواحات



خطابى الحادى عشر
الواحات ـ فبراير سنة ١٩٦٢

زوجتى الحبيبة

قبلاتى وأشواقى الحارة أرسلها إليك من هنا راجيا أن تكونى بخير وفى خير صحة. لقد وصلنى خطابك منذ أسبوع وكنت أود أن أرد عليه فورا لولا أن الظروف ليست فى يدى. فالمسألة أننى أتحين الفرص لكى أرسل لك رسائلى، وثقى أننى بذلت كل ما فى جهدى لكى يصل إليك هذا الرد فى أسرع وقت، ولم يكن فى يدى أن أفعل أكثر من ذلك.

المهم أن خطابك أدخل الفرحة إلى قلبى بقدر ما أحزننى! نعم يا حبوبة يجب أن أعترف لك بهذا وقد عودتك الصدق فى كل خلجات قلبى.

لقد فرحت طبعا لأن كل كلمة منك تفرحنى، وتجعلنى أحس أنى قريب منك، وتلك سعادة ليس بعدها سعادة عندى. وأرجوك أن تواظبى على الكتابة أسبوعيا وأن تكونى أكثر تفصيلا فى خطاباتك (مثلا ماذا تأكلين، ماذا تلبسين، الأفلام الحديثة التى تشاهدينها، آخر نكتة فى القاهرة.. إلخ)، ولكنى حزنت لأننى أحسست أنك فريسة حملة إشاعات قذرة كاذبة[1] تتعلق بشخصى وبأشخاص كثيرين هنا! ماذا تعنين بأخبارى الأخيرة كما ورد فى خطابك؟ لا أدرى، فليس لى أخبار أخيرة على الإطلاق.

(١) لم يتح لى أن أسأل زوجتى عقب الإفراج عنى عن تفاصيل هذه الإشاعات التى أشارت إليها فى=

أرجو أن تثقى أننى فى صحة جيدة ومعنويات عالية، وأننى كما كنت وسأكون دائما - نفس الإنسان الذى تعرفينه. إن هذا الموقف الصامد لا يتعلق بشرفى وسمعتى فحسب، بل يتعلق فوق كل شىء بعقيدتى الفكرية والسياسية التى تملأ عقلى وحواسى، والتى هى ثمرة سنين طويلة من الفكر والعمل، والتى لا أتصور حياتى فى المستقبل بدونها. وهذا التمسك إلى حد الموت بالمبادئ لا يتناقض أبدا مع النظرة السياسية الإيجابية للظروف الحالية ولنظام عبدالناصر، والإيمان بضرورة العمل من أجل جمع الشمل وتوحيد الصفوف فى مواجهة الاستعمار، ومن أجل التقدم الاجتماعى والديمقراطى. إن المنجزات التقدمية لسياسة عبدالناصر فى الشهور الأخيرة تحقق فى رأيى كثيرا من أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية كما تصورنا دائما.

إن بعض الجهات الحكومية التى تعرفينها جيدا تطلق من حين لآخر فيما يبدو إشاعات كاذبة عنا هنا، وتروج هذا على ألسنة عناصر تنكرت لعقيدتها الفكرية ثمنا للإفراج عنها، وتحاول أن تفسد العلاقات العائلية بين الأم وابنها والزوجة وزوجها.. إلخ. محاولة بذلك التأثير لا على المعتقلين فقط وإنما على العائلات أيضا لتحطيم معنوياتها. تلك هى الحقيقة التى ينبغى أن تقدريها حق قدرها حينما تسمعين أية إشاعات قذرة عن أى واحد منا هنا، ومن الطبيعى أن يتم التركيز على بعض الشخصيات العامة مثلى. لقد وصلت إلينا هنا من القاهرة إشاعات عن زملاء آخرين هنا راجت فى الخارج أعلم أنها أبعد ما يمكن عن الحقيقة، ولعل الانقسامات السياسية التى وقعت هنا قد ساعدت على خلق هذا الجو السام.

ولكنى أود أن أؤكد لك أن كل الناس هنا (كل الناس بدون استثناء وعلى اختلاف تفكيرهم السياسى) على معنويات عالية، وهم مصممون على ألا يدفعوا

= خطابها، غير أننى تصورت آنذاك من إشارات خطابها أن بعض العناصر التى افرج عنها مبكرا تشيع أننى وآخرين قد تخلينا عن مبادئنا واصبحنا من رجال الحكومة. ومن الواضح أن المناقشات السياسية الحادة التى كانت تدور آنذاك فى الواحات قد ساهمت فى هذه البلبلة التى وصلت اصداؤها إلى القاهرة.

ثمنا سياسيا للإفراج مهما طال الزمن. إن العناصر الضعيفة نفسيا وخلقيا قد تم الإفراج عنها منذ مدة، ولم يبق هنا غير أشرف الناس وأجدرهم بالاحترام! لقد ضحك محمود وفايق حينما قرآ خطابك واحتارا كما احترت فى هذا القلق البادى فيه. والغريب أن خطابك قد وصل فى نفس اليوم الذى قرأت فيه للزملاء قصيدتى الجديدة الطويلة «الشهيد»، ولعل المكان لا يتسع لإرسال هذه القصيدة، ولكن حسبى القول إننى تحدثت إليك فى مشهد كامل من هذه القصيدة يقول الزملاء عنه إنه ملىء بالأسى العميق!

لقد وصلتنى خطابات محمد وسعاد وفرحت جدا بكلمة محمد وأخباره وكلام سعاد، وأرجوه ألا يكون متأثرا منى على ما كتبته له من عتاب وأن يقدر ظروفى على البعد. الحقيقة أننى كنت متأثرا منه لأنه لم يكتب لى كلمة واحدة خلال إقامتى بسجن أسيوط للعلاج، ولأنى توهمت أنه بمشاغله لم يعد يسأل عنك. ولقد سرنى من خطابه الأخير أنه بادى الاهتمام بك وبالأولاد. لن أوصيك بعيد ميلاد منى، فأنا أعرف أنك لست فى حاجة إلى وصيتى، ولكنى أريد تقريرا مفصلا عن حالتها فى المدرسة ودرجاتها فى الامتحانات.. الخ. ولازلت أرجوك أن ترسلى لى صورة لك فى خطابك القادم، فهل تتفضلين وتتكرمين وتتنازلين؟

لقد قرأت مقالات محمد[1] فى الأهرام وسررت تماما لاتجاهها العام، وإن كان لى بعض الملاحظات الجزئية عليها.

شكرا لك على الأغنية المرسلة فى خطابك، وقد حرصت على أن أسمعها من صديق له صوت جميل هنا، وأرجوك أن تذكرى لى شيئا فى خطاباتك القادمة عن الأغانى الجديدة التى تسمعينها وتحبينها. إننى أقضى وقتا طيبا هنا فى مناقشة السياسة والقراءة وسماع الأغانى من ذوى الأصوات الجميلة (ليس عندنا راديو!) وتدريس العلوم الرياضية على نطاق واسع نسبيا لكل المتحمسين، وما يزال الناس هنا يشكون من ضحكاتى العالية التى تصلهم فى وقت متأخر ليلا. إننى

---

(١) هذه أول إشارة إلى سلسلة مقالات الدكتور محمد أنيس فى صحيفة الأهرام، وهى السلسلة التى انتهت بعرض المراسلات بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى، وقد ألقت الأضواء لأول مرة على التنظيم السرى لحزب الوفد الذى كان مكلفا بمهمة اغتيال الشخصيات الإنجليزية الهامة.

أقيم مع فايق فى غرفة واحدة، وهو أمر مريح لى تماما ونحن نتعاون سويا فى الأكل وغسيل الصحون وكل شيء .. والحقيقة أن فايق كنز من الإنسانية، وهو يهتم بى فى كل صغيرة وكبيرة. وسوف يأتى الوقت الذى تقابلينه وتشكرينه على اهتمامه بى فى الصحة والمرض.

ختاما لك قبلاتى وحبى الخالد، وأملى أن تردي بسرعة، فإن خطاباتك حياة جديدة لى..

«كامل»

خطابى الثانى عشر
الواحات فى ٢٩/ ٥/ ١٩٦٢

زوجتى الحبيبة:

أبعث اليك أحر قبلاتى وأشواقى. وآسف إذا كنت قد تأخرت عليك، فالحقيقة أنه لم تتح لى فرصة مواتية قبل اليوم لإرسال خطابى. وأحب أن أطمئنك على أن خطاباتك قد وصلت جميعا بما فى ذلك الخطاب الأخير الذى عرفت منه أن نرجس[1] قد سلمتك الصورة التى رسمها لى الفنان داود هنا. لقد انزاح عن كاهلى عبء ثقيل عندما عرفت أن سعاد أختى قد وضعت فى سلام، وفرحت بذلك كثيرا وأرجو أن تبلغيها وزوجها العزيز خالص التهنئة، وأرجو أن يسعد المولود الجديد طارق فى ظل حنان والديه وسعادتهما.

لعل نرجس قد طمأنتك على صحتى وأوضحت لك أن مسألة الروماتيزم أمر عارض لا يستحق القلق أو الاهتمام!

لا أدرى كيف أستمر فى خطابى، ففى ذهنى كثير من المسائل التى أود الكلام عنها وأرد عليها من خطاباتك السابقة، وسأحاول ألا أنسى شيئا ولو أنى أكتب هذا الخطاب على عجل.

بالنسبة للصورة التى رسمها لى الفنان داود عزيز وتعليقك بأن هناك حزنا واضحا فى عينى فيها.. أرجوك ألا تشغلى نفسك يا حبيبتى بهذه الأمور، فالكل

---

(١) زوجة أحد المسجونين الشيوعيين، وكانت دائمة الزيارة لزوجها كل شهر.

هنا يقول إنه لا يوجد إنسان يضحك مثل ما أضحك ويسخر مثل ما أسخر. صحيح أننى عندما أخلد إلى نفسى أشعر ببعض الحزن من أجلك وأجل الأولاد، ولكن سرعان ما أندمج فى جو السجن وأنسى أحزانى، وهكذا تكون الحياة! لقد شكرت الفنان داود نيابة عنك وسر كثيرا بهذا الشكر. ولقد رجوتك فى أكثر من خطاب ألا تشغلى نفسك بحياتى هنا كثيرا وأن تهتمى بحياتك أنت وشئونك؛ فإن هذا هو ما يسعدنى على البعد.

ولعل نرجس قد حدثتك فى اقتراح الزيارة. أرجو أن تفكرى فى الموضوع وأن تقولى لى رأيك فى خطاب مقبل.

أما بالنسبة لموضوع البحث الذى تعدينه عن «تخلف المجتمعات الأفريقية السوداء» خلال دراستك بمعهد الدراسات الأفريقية، فأود أن أقول إننى طبعا غير مختص، ويمكنك استشارة أخى محمد، ولكن اسمحى لى أن أقدم بعض الانطباعات:

أولاً: إننى أعتقد أن كثيرا من المجتمعات الأفريقية عاشت فى ظل النظام الشيوعى البدائى لا فى ظل النظام العبودى. وليس صحيحا أن هذه المجتمعات تعثرت عند النظام العبودى ولم تتقدم إلى النظام الإقطاعى كما تقولين، بل إنها تعثرت فى التطور عند النظام البدائى ولم تتقدم إلى النظام العبودى.

ثانيا: ولكن ليس معنى هذا أنه لم توجد مراحل مختلفة للتطور فى ظل النظام البدائى، ومن رأيى أن هدف الدراسة الجادة هو البحث عن هذه المراحل المختلفة التى مر بها النظام البدائى.

ثالثا: لقد كان العامل الأساسى فى رأيى فى الانتقال من النظام البدائى إلى النظام العبودى هو اكتشاف المعادن (الحديد خصوصا) فى معظم الحالات. وفى مصر بالذات دعت إلى هذا الانتقال الحاجة إلى توحيد نظام الرى على وجه الخصوص، وما ارتبط بذلك من إقامة الدولة التى هى سمة من سمات العهد العبودى.

رابعا: إن التعثر فى التطور الأفريقى يرجع فى رأيى إلى عدم اكتشاف المعادن إلا متأخرا، وتدفق الهجرة إلى أودية الأنهار والسواحل.

ومع ذلك فإننى أنصحك بمراجعة كتاب «ماذا حدث فى التاريخ» لجوردن تشايلد، وكتاب «الغصن الذهبى» لفريزر. وسوف يفيدك الكتاب الأول من ناحية الدراسة المنهجية، كما سيفيدك الكتاب الثانى من ناحية المعلومات الغزيرة الواردة به. هذه فكرة مختصرة عن رأيى وأرجو فى خطاب قادم أن أكون أكثر تفصيلا.

لقد سرتنى مقالاتك فى مجلة «نهضة أفريقيا» وأرجو المواظبة على الكتابة بعد أداء امتحان المعهد، ولكن احرصى على التوقيع إن أمكن. أرجو إبلاغ أخى محمد إعجابى الشديد بما يكتبه هذه الأيام من مقالات فى الأهرام وإعجاب الكثيرين هنا. إننى أحاول متابعة كل ما يكتب وأتمنى له التوفيق.

أنا هنا بخير، وقد لحن صديق مغرم بالموسيقى قصيدتى «أغنية ليل»، ويغنيها صديق آخر ذو صوت ملائكى (محمد حمام)، وقد أداها فى أكثر من مناسبة وسر بها الزملاء. الحقيقة أننى لا أريد أن أكتبها لك لأن بها نبرة حزن واضحة كما يقول الآخرون، ولو أن هذه النبرة من الحزن هى التى تثير شجون الناس، لقد كتبت هذه القصيدة فى وحدتى بعد منتصف الليل وأنا فى سجن أسيوط[1]، وهى تحوى كلاما كثيرا موجها إليك فى هدوء الليل وسكونه.

ختاما لك أشواقى وقبلاتى، ومازلت فى انتظار صور الأولاد..

«كامل»

---

(١) كنت قد نقلت إلى مستشفى أسيوط لإجراء عملية اللوز. وأقمت هناك نحو أسبوع، ولكنى رفضت إجراء العملية عندما اكتشفت أن مباحث أسيوط مصممة على ربط قدمى إلى السرير الذى أنام عليه.. بجنزير حديد ـ بعد العملية ـ خشية أن أهرب من المستشفى!

خطابها الأول

القاهرة فى ٢١/ ٦/ ١٩٦٢

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى الحارة أبعثها إليك من بعيد.. دائما من بعيد.. فرحت جدا بخطابك الذى جاء بعد غيبة طويلة.. استلمت الخطاب من تحية وكانت ابنتها نادية بجانبى تترقب بفارغ الصبر أن أنتهى من الخطاب حتى ألتفت إليها ولكن بدون جدوى، إذ يبدو أن الخطاب استغرقنى تماما لمدة طويلة حتى إنها بعد فراغ صبرها قالت لى: «مش حاتخلصى يا تانت الجواب ده أبدا؟».

وكان لابد أن أفرغ منه فى الحال ولم أكن قرأته كله. وفعلا لم أكمل قراءته إلا فى الأتوبيس إذ لم أستطع الانتظار حتى أعود إلى البيت. وقد أعيد قراءته فى البيت مرات ومرات ولكنى لا أحتمل أن يكون معى دون أن أقرأه القراءة الأولى.. لقد اكتشفت أننى فعلا لا أقرؤه مجرد قراءة بل أعيش فى كل سطوره وكل كلماته وكل نغمة فى حروفه، وهذا سر ضيق نادية.

أنت لاشك تذكر قصة ولادتها[1] وشهورها الثلاثة الأولى، ولكنها الآن أصبحت بنتا جميلة متفتحة كالزهرة النضرة.

---

(١) نادية ابنة الدكتور محمد أنيس، وقد ولدت قبل موعدها وكانت حالتها الصحية فى الشهور الأولى مصدر قلقنا.

إننى سعيدة بجو المرح الذى تشيعه حولك حتى لا تحس بالكآبة، ولكنى مازلت أذكر طفلى الكبير الذى يضحك من أعماقه ويبكى أيضا من أعماقه. مازلت أذكر كيف يتأثر ويتألم وكيف يصفح ويسامح، وكيف يثور وكيف يهدأ..

شكرا لك لاهتمامك بإبداء رأيك فى بحثى عن «تخلف المجتمعات الأفريقية»، فلقد كنت أتوق أن أعرف رأيك فى هذا البحث بالذات قبل أن أقدمه. ولكن للأسف الشديد وصل خطابك بعد طبع البحث. ولكن لن يمنعنى هذا من الاطلاع على الكتب التى أشرت إليها، بل لقد بدأت البحث عنها بالفعل ولى أمل أن أحصل عليها اليوم أو غدا. إن النقاط التى أثرتها جديدة تماما بالنسبة لى. والواقع أنى ناقشت كثيرين فى هذا الموضوع ولكننا لم نصل إلى رأى مثل هذا الذى أبديته فى خطابك. وقد أشار البعض على أن أقرأ «لتوينبى أو دوانت» باعتبارهما تعرضا لنشأة الحضارات: وهذا الموضوع - وإن كان لا يمس صلب بحثى عن أسباب تخلف المجتمعات الأفريقية - إلا أننى حرصت أن أقرأ عنه.

رأى «توينبى» يتلخص فى نظريته المشهورة «التحدى والاستجابة»، وهى تقوم على أن المجتمعات عندنا تواجه تحديا من الطبيعة مثلا فى شكل جفاف تستجيب له بصور مختلفة، كأن تهاجر إلى مواطن أخرى حيث المناخ أكثر رطوبة، أو أن تغير من عاداتها وتقاليدها وتتحول إلى حرفة الرعى مثلا. وقد لا تتوفر عندئذ ظروف الاستقرار وقيام حضارات، على عكس المجتمعات التى هاجرت واستقرت وأقامت حول الأنهار وأنشأت حضارات. ومثل هذه النظرية لا تفيدنا لأنها لا تفسر لنا أسباب تباين الاستجابة بين المجتمعات المختلفة.. وهل يرجع ذلك إلى أسباب عنصرية، بمعنى أن هناك جنسا معينا أقدر على الاستجابة بطريقة أفضل من غيره؟ الواقع أن «توينبى» يرفض هذا التفسير وإن كانت نظريته تؤدى إليه فى النهاية.

وهناك بعض الجغرافيين الذين يرجعون أسباب التخلف إلى عوامل جغرافية من مناخ وموقع وتضاريس.. إلخ. ويؤكدون ذلك بقولهم إنه ليس مجرد صدفة وقوع البلاد المتخلفة فى المداريات، والبلاد المتقدمة فى البلاد المعتدلة الباردة. ورأى آخر يقول إن الافتقار إلى طبقة برجوازية قوية هو سبب التخلف، وإن قيام

الثورة الصناعية فى انجلترا بالذات قبل غيرها سببه وجود برجوازية قوية كانت قادرة على القيام بها، وقد ساعدتها ظروفها الخاصة - وهى التجارة - على تكوين ثروات وظهور هذه الطبقة القوية، وهناك آراء أخرى لا أريد أن أوجع دماغك بها. سوف أقرأ الكتب التى اقترحتها على كل حال، وعلى ضوء النقاط التى عرضتها فى خطابك قد أغير الفصل الخاص بأسباب التخلف، وشكرا جزيلا..

نرجس لم تذكر لى شيئا بخصوص اقتراح الزيارة[1]، وسأحاول سؤالها عن الموضوع وقد تتاح لى فرصة السفر إلى الإسكندرية مع أخى نبيل، وإذا تم ذلك فسوف أكتب لك طبعا من هناك.

نحن جميعا بخير والجميع يبعثون إليك بتحياتهم وتمنياتهم..

أريد أن أقول أشياء كثيرة.. كثيرة جدا.. هل تتيح الأيام ذلك قريبا؟ أرجو.. ولكن أهم ما أرجوه أن تكون ضاحكا مبتسما كما عودتنى.

أختك

«عنايات»

(١) كنت قد اقترحت على السيدة نرجس أن تحضر زوجتى معها لزيارتى، ولكن يبدو أن نرجس لم تكن متحمسة للاقتراح.

خطابها الثانى

الإسكندرية فى ٢٨/ ٦/ ١٩٦٢

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

أكتب إليك وأنا جالسة على شاطئ البحر بالإسكندرية. كم من ذكريات تدور بخاطرى! كانت آخر مرة أرى فيها الإسكندرية هى أكتوبر[١] سنة ١٩٥٩.. ولكن لا تكن قلقا على فأنا أحاول أن أنسى ما قد يضايق، ولذلك أحاول إرجاع شريط الذكريات إلى الوراء، إلى نوفمبر سنة ١٩٥٨[٢]، إنها ذكرى أجمل وأحب إلى نفسى.

يؤسفنى يا عزيزى أننى ذهبت إلى المعمورة بدونك؛ لقد أبدى لى أخى نبيل رغبته فى السباحة هناك، فلم يكن هناك بد من القبول. لقد أمضينا وقتا طيبا رغم أننا كنا وحدنا ولقد أشفقت على نبيل لحرمانه من الخروج مع أصدقائه أو صديقاته، ولكنه يبدو أنه قانع بوجودى معه، فهو لا يريد أن يتركنى أبدا.

لقد وصلنا يوم الأحد وسنترك الإسكندرية يوم السبت القادم، وأعتقد أن ستة أيام كافية جدا بالنسبة لى حتى أستطيع أن أبدأ من جديد.

---

(١) الشهر الذى قدمت فيه إلى المجلس العسكرى بالإسكندرية، وقد حضرت زوجتى معظم جلسات المحاكمة.

(٢) تاريخ قراننا، وقد ذهبنا بعد الزواج مباشرة لقضاء يومين فى المعمورة.

أقرأ الآن في كتاب تشايلد (ماذا حدث فى التاريخ) وعندما أنتهى منه سوف أبدأ قراءة كتاب فريزر (الغصن الذهبى) حتى أستطيع أن انتهى إلى رأى بخصوص البحث. هذه هى كل أخبارى..

أما عن الفسح والسينما فأستطيع الآن أن أحدثك عنها لأن نبيل يهوى السينما، على عكس حالى، ولذلك نذهب كل يومين إلى السينما، وموضوعاتها لا تستحق الذكر، فهى مجرد تسلية. والحق أن ما يسعدنى هو البحر ومياهه الزرقاء والجلوس فى (أتينوس) أو أى كازينو على شاطئ البحر، فقد تحولت بشرتى إلى لون برونزى أو أشد، وساعتك التى ألبسها هذه الأيام تركت علامة من البياض الناصع على ذراعى.

الآن أبدو ممتلئة صحة ونشاطا.. أليس هذا أفضل؟

كيف أحوالك وصحتك والحر؟ أرجو أن تطمئننى حتى يهدأ قلقى على أحوالك الصحية. تحياتى وتمنياتى لكم جميعا، ولك دائما أشواقى الحارة.

أختك

«عنايات»

خطابها الثالث

القاهرة فى ١٥/ ٧/ ١٩٦٢

عزيزى سعد:

هذه هى المرة الرابعة التى نحتفل فيها بعيد ميلادك داخل الأسوار[١]. كم يحز فى نفسى يا عزيزى أننا لا نحتفل معا بهذا العيد.. وألا أكون معك فى هذا اليوم! شمعات تطفأ.. وغيرها يضاء.. ويمضى العمر بنا.. ويطول فراقنا، يزداد الحنين إليك. إلى متى يا ترى؟ لا أدرى!

قد يطول أكثر من ذلك أو قد لا يطول.. المهم أن آمالنا سوف تطول وتمتد هى الأخرى بلا حدود.

هل تذكر يا عزيزى أنك كتبت لى يوما تقول «فى عينيك الضاحكتين أرى المستقبل». لقد هزتنى هذه الجملة الى أبعد حد، وكثيرا ما تنساب إلى سمعى وأنا جالسة وحدى فأحس ابتسامة تتسلل إلى وجهى! إننى أحاول دائما يا عزيزى أن أنظر للمستقبل من خلال آمالنا وضحكاتنا وذكرياتنا الحلوة.

أسمع الآن أغنية جديدة تقول: «يا واحشنى وروحى فيك، وبقى لى زمان، يا واحشنى، يا واحشنى» وإذا أردت أن أكررها أنا فلن تكفينى صفحات.. إنها أشواق العمر كله، أشواق تقرب من ثمانية وعشرين عاما. أليس كذلك؟

---

(١) لاحظ أن تاريخ كتابة هذا الخطاب هو ١٥ يوليو، وهو أيضا عيد ميلادى.

أتعلم أن أحلى ما أشتاق إليهْ هو أنٍ تضع رأسك المتعب على صدرى فى صمت وفى حنان وأظل يقظة أراقبك وأضحك.. لتقل ما شئت، ولكنى كثيرا ما أحلم بذلك وسأظل أحلم به حتى يتحقق يوما.. أى يوم، ولكن لابد أن يتحقق.

أرجو أن تبلغ تحياتى وتمنياتى للجميع، كما أرجو أن تكونوا قد احتفلتم معا بعيد ميلادك، عقبال سنين طويلة، سنين مليئة بالآمال المشرقة لنا ولبلادنا والإنسانية كلها.

أختك

«عنايات»

خطابى الثالث عشر

الواحات فى ٦/ ١٠/ ١٩٦٢

زوجتى الحبيبة:

هـأنذا أكتب إليك منجزا وعدى بالكتابة فى كل فرصة أجدها. والحقيقة أننى لم أتسلم منذ أكثر من أسبوعين خطابا منك، ولكنى أعذرك على كل حال فربما تكونين مشغولة فى امتحان دبلوم المعهد.

لقد وصلنى من أختى سعاد خطاب تقول فيه إنكم لم تصلكم منى خطابات منذ حوالى شهر! وهذا غريب لأنى أرسلت خلال هذه الفترة خطابين، فهل تضيع هذه الخطابات رغم أننى أدفع نقودا لحاملها إلى صندوق البريد؟

لقد وصلنى طرد الأدوية منذ مدة، وصحتى فى تقدم مستمر منذ تناول الأدوية، وأشعر أننى أحسن حالا بكثير منذ انتهت حالة الخمول والدوخة التى كنت أشعر بها كل صباح، وأحس من جديد بالنشاط والقدرة على القراءة والكتابة مدة طويلة، ولاشك أن الحقن التى أرسلت قد نفعتنى تماما.

أرجو ألا تنسى فى الطرد القادم الفانلات القطنية الطويلة والبيجامة الكستور (بيضاء سادة أو لون كريم). وطبعا لا تنسى أيضا فيتامين «ج» فإنه يفيدنى فى الشتاء كثيرا فى نزلات البرد.

إننى مقبل منذ أكثر من شهر على مشروع ثقافى كبير، وأعتقد أنه سوف يستغرق عاما على الأقل، وقد جمعت له مبدئيا أكثر من عشرة مراجع أساسية

أكب عليها فألخص وأترجم فيها استعدادا لبدء الكتابة، ومازلت آمل فى الحصول على مراجع أخرى. هذا الموضوع خاص بتاريخ العلم منذ مصر القديمة وبابل وأثر تطور العلم على الفلسفة بالذات، وأجد تشجيعا هنا من الكثيرين ومعونة خاصة. كما قمت فى الوقت ذاته بترجمة بحثين طويلين فى النقد الأدبى عن الكاتب الأمريكى (هيمنجواى) والشاعر السوفيتى الجديد (إيفتشنكو). وقد أثار البحثان اهتماما لم أكن أتوقعه.

هذا عن حياتى الفكرية والثقافية، وأرجو أن توافينى بما تقرئينه أنت بعد انتهاء الامتحان، كيف أحوال أختى فتحية؟ ولماذا لا أسمع عنها مباشرة منذ مدة؟ الغريب أنها تستاء إذا تأخرت عليها فى الكتابة ومع ذلك لا تعطينى هذا الحق إذا هى تأخرت . قد يجوز أنها أرسلت خطابا ولم يصلنى، ولذلك أود الإشارة إلى أن الإدارة هنا أصبحت تدقق فى قراءة الخطابات، فإذا شكت أن الخطاب مكتوب لأحد المعتقلين مزقته فورا. ولذا أرجو التحفظ فى الكتابة وعدم التحدث صراحة عن موضوع النقود المرسلة مع نرجس لأن هذا ممنوع قانونا!

وأخيرا أرجو الحرص على مقابلة نرجس قبل حضورها لزيارة زوجها هنا (هى تأتى كل شهرين تقريبا) وأن ترسلى معها بعض المأكولات على نمط ما كنتم تفعلون فى «أبو زعبل». لا تتصورى تأثير هذا علينا من ناحية تذكيرنا بالطعام الإنسانى الذى حرمنا منه زمنا طويلا، وأن تراعى أن معى فى الغرفة عددا من الناس وأننى لن آكل وحدى!

اقرأ بانتظام مقالات محمد أخى وأسر بها كثيرا. له تحياتى وتمنياتى، ولك أحر أشواقى وقبلاتى.

«كامل»

خطابها الرابع

القاهرة فى ٢٨/ ١٠/ ١٩٦٢

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى الحارة..

انتهيت أمس من آخر امتحان لى. وهـأنذا أبادر بالكتابة إليك. ذهبت بالأمس إلى إخوتك جميعا، قمت بجولة واسعة بعد أن انقطعت عنهم بسبب الامتحانات، وهم جميعا على خير ما يرام. طبعا أحاديثنا لا تدور إلا عنك وعن أحوالك الصحية وعن الطرود التى أرسلت لك، وقد أخبرتنى فتحية أنها أرسلت لك دواء لمتاعب الكبد، فهل يكفى هذا الدواء أم أرسل لك ما اقترحته عليك من دواء فى الخطاب السابق؟

احتفلنا أمس بمرور شهر على ولادة خالد (ابن أخى مصطفى). والحق أنه بعث جوا جديدا فى البيت، فلم أكن أتصور أن طفلا صغيرا إلى هذا الحد يستطيع أن يحدث كل هذا التأثير.. إن كل ما قرأناه وكل مادرسناه فى الكلية عن سيكولوجيا الطفل وعقباته الاجتماعية أتتبعه الآن بالتجربة ولكن باندهاش.

أما عن قراءتى فلا أستطيع أن أقول إننى بدأت شيئا جديا على الأقل طول فترة الامتحان. معى الآن الجزء السادس من مذكرات تشرشل فهى تصدر تباعا.

لقد سررت جدا بقراءاتك الواسعة، والحق أنى أكثر من مسرورة. إننى أشعر باعزاز وفخر بك. كم كنت أتمنى لو كنت بجانبك حتى أستطيع أن أقدم لك أية

معونة .. طبعا أنا على يقين من أنك قادر على القيام بكل شىء وحدك، قادر على احتمال كل شىء وحدك، ولكنى لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فى هذه الأمنية!

تحياتى لكم جميعا، ولك كل أشواقى وتمنياتى.

أختك

«عنايات»

خطابها الخامس

القاهرة فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

أرسلت إليك آخر خطاب منذ أسبوع أرجو أن يكون قد وصلك.

إننى أتصورك الآن ممسكا بالقلم لتكتب لى تماما كما أفعل الآن[1].. أجلس وحدى إلى مكتبك وعلى نفس كرسيك أعيش معك ذكريات عمر فات، وعمر يمر فى قسوة ومرارة ولكن فى أمل! إننى أتذكر كلمة ناظم حكمت.. إن حفلة البؤس لم تنته بعد ولكنها ستنتهى يوما!

هل تعلم أنى أحتفظ بصورة لناظم حكمت وزوجته بمناسبة حضورهما للقاهرة؟ إن هذا الإنسان الذى غنى لنا كل روائعه جاء إلى بلادنا ورأيناه وعاش بيننا!

من كان يصدق ذلك؟

وأنت يا عزيزى لابد أن نراك يوما بيننا وأن أضمك، إلى صدرى.. لابد أن يأتى ذلك اليوم، وحتما سوف يأتى!

تحياتى لكم جميعا، ولكِ كل تمنياتى وأشواقى .

اختك «عنايات»

(١) كتب هذا الخطاب فى ٥ نوفمبر.. ذكرى قراننا.

خطابى الرابع عشر
الواحات فى ١٤/ ١٢/ ١٩٦٢

زوجتى الحبيبة:

سررت جدا عندما علمت من خطابك أنك كنت الأولى فى امتحان المعهد.. إنه خبر سار وممتع بلا ريب، فتهنئتى الحارة لك وأملى أن تكونى فى الرسالة فى نفس المستوى. وبمناسبة موضوع الرسالة أنا مدرك أن اختيارك للموضوع محدود بين التاريخ والجغرافيا. ولذلك فأنا أقترح أن تكون الرسالة حول تاريخ أفريقيا الشرقية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى وما بعده، أو تاريخ المناطق التى تضم غانا وغينيا ومالى وعلاقتها بشمال أفريقيا والحضارة الإسلامية، والحق أن هذا التاريخ يحيط به غموض شديد فلا نعرف عنه إلا تفاهات، ولذا يكون من المفيد جدا أن تدرس هذه المراحل وأن تقال فيها كلمة واعية. هذا طبعا مجرد اقتراح والأمر لك أولا وأخيرا.

أرسل هذا الخطاب مبكرا وعينى على تاريخ أول يناير الذى هو عيد ميلادك. كل سنة وأنتِ طيبة يا ستى وأرجو أن نحتفل به سويا فى العام القادم وأن تكون هذه الأزمة قد انتهت بخروجى. لقد أوشك العام الرابع أن ينتهى وندخل العام الخامس، وأنا مازلت كما عهدتنى دائما صبرا واحتمالا للمكاره مهما طال أمدها، وثقة فى المستقبل، ومازالت ضحكاتى التى تعودت عليها هى هى لم تتغير.

أما دراستى فقد بدأت أخيرا فى كتابة الفصل الأول من مشروع الكتاب الذى يشغل حياتى الآن وقد أوشكت على النهاية. وهذا الفصل يقع فى حوالى مائة

صفحة ويشمل قصة العلم القديم (أى ما قبل اليونان)، ويتضمن رؤوس الموضوعات الآتية: مقدمة عامة ـ العصر الحجرى القديم ـ العصر الحجرى الحديث ـ العصر البرونزى ـ عصر الحديد الأول ـ هل كان ثمة علم قبل الحضارة؟ ـ الكتابة والحضارة ـ الرياضة والتجارة ـ الرياضة والعمل ـ إجهاض علم الجبر ـ الفلك والتنجيم ـ الطب والسحر ـ التكنيك والحضارة ـ الأصل الطبقى للعلم ـ العلم والدين ـ انهيار الحضارة القديمة.

لقد بقيت لى صفحات قليلة، وبمجرد إنجازه سأنتقل إلى كتابة الفصل الثانى عن الحضارة اليونانية ووضع العلم فيها.

هذا عن حياتى الثقافية. أما من الناحية المعيشية فصحتى طيبة تماما غير أن دخول الشتاء فى حاجة إلى اهتمام بالدفء والتغذية. فالبرد هنا قارس جدا بالليل، وأرجو إرسال بلوفر بكم طويل ولا داعى لأية أدوية.

إننى أتابع مقالات محمد باهتمام شديد وفخر كبير، وأرجو أن أكتب له بالتفصيل فيما بعد. تحياتى وتمنياتى لمصطفى وصفية والسيدة الجليلة عمتك. أما أنت فلك قبلاتى الحارة وأطيب تمنياتى بالعام الجديد، وإن جاءت التهنئة مبكرة نوعا لأنى أخاف ألا أجد فرصة كتابة خطاب آخر قبل أول يناير، كما أرجو أن أقرأ لك خطابات أطول من هذه الخطابات التلغرافية التى ترسلينها.

«كامل»

ملحوظة:

أرسل لك خطابا للزميل لطفى الخولى، رجاء تسليمه له!

رسالة إلى لطفى الخولى

ديسمبر سنة ١٩٦٢ من الواحات

عزيزى لطفى:

هأنذا أكتب إليك من خلف أسوار المعتقل. وأرجو ألا تكون رسالتى هذه سببا فى أى إحراج لك. ولقد فكرت أن أكتب إليك أكثر من مرة لأعبر لك عن إعجابى بما تنشره صفحة الرأى بالأهرام أحيانا، واستيائى مما تنشره الصفحة أحيانا أخرى، ثم توقف القلم فى يدى! لا أدرى لماذا.. ربما لأنى كنت أحس أن الوقت لم يحن للكتابة والمصارحة. أما اليوم فأنا أشعر أن الظروف مواتية لذلك. لقد انقطعت الحملة على الشيوعيين فى الصحف أو كادت، وحدث فى مجال العلاقات العربية السوفيتية تقارب لاشك يرغب فيه كل الذين يحبون وطنهم ويرجون له التقدم. ومن رأيى أن الوقت قد حان لكلمة عاقلة ترأب الصدع وتجمع الصف وتوحد كافة القوى الوطنية والتقدمية بما فى ذلك الشيوعيون العرب بطبيعة الحال. ولست أدعى أن من حقى أن أتكلم باسم هؤلاء، ولا أنا فى الحقيقة مفوض للكلام باسم أحد. ولكن اسمح لى أن أعبر عن آرائى الشخصية، وأعتقد أن غالبية المعتقلين يشاركوننى هذا الرأى.

ولعل أفضل بداية هى أن أتناول بكلمة موجزة مقالة الأستاذ هيكل الصادرة فى ملحق الأهرام بتاريخ ١٩٦٢/٣/٢ بعنوان «تيار التاريخ لم يتوقف» واسمح لى أن أصف هنا المقال بالتخلف والانعزالية على أقل تقدير. فالأستاذ هيكل يذهب بعيدا للبحث عن أسباب فشل الوحدة المصرية السورية، وتحت أنفه السبب

الأساسى فى هذا الفشل لا يريد أن يذكره. والغريب أن الرئيس عبدالناصر قد ألمح إلى هذا السبب فى خطابه الشهير عن الأخطاء، الذى ألقاه فى جامعة القاهرة. ومع ذلك فالأستاذ هيكل يتجاهله.. وهذا السبب هو تصدع الجبهة الوطنية فى سوريا أثر الوحدة، وتحول هذه القوى التى حمت استقلال سوريا بعضها ضد بعض.. عبدالناصر والبعثيون ضد الشيوعيين، والشيوعيون ضد عبدالناصر فى المرحلة الأولى، ثم عبدالناصر ضد البعثيين بعد ذلك. وهذا التصدع هو الذى أدى إلى كافة الظواهر الأخرى التى يتعرض لها الأستاذ هيكل، والأخطاء الأخرى التى تعرض لها عبدالناصر فى خطابه الشهير.. ولنتأمل مثلا ظاهرة مهادنة عبدالناصر للرجعية العربية فى أعوام ١٩٥٩ - ١٩٦٠. أليست الحقيقة أن مهادنة الرجعية كانت الثمرة الطبيعية لسياسة «مناهضة الشيوعية» فى المنطقة؟ أليست الحقيقة أن أخطاء وجرائم الأجهزة البوليسية وتضييق الخناق وكبت آراء الناس ومأساة الديمقراطية فى سوريا هى الثمرة الطبيعية لتصدع الجبهة الوطنية؟ إن هيكل يرجع أسباب فشل الوحدة إلى انفصال الإقليمين جغرافيا وعدم نضج الوطنية المحلية وقوة مركز الإقطاعيين والرأسماليين فى سوريا! ولكن الحقيقة أن جبهة موحدة من الحكومة والبعثيين والشيوعيين والقوى الوطنية الأخرى كانت كفيلة بأن تهزم كل هذه الاعتبارات مجتمعة. لكن الحكومة لم تكن تريد هذا كما تعرف، بل كانت مصممة على المضى فى سياسة «وحدنا فى المعركة» التى عبر عنها الأستاذ هيكل فى إحدى مقالاته، وظنت أنه من اليسير أن تنجز أهدافها بدون الشيوعيين السوريين بل وعلى حسابهم. ثم تحادت بعد ذلك وحاولت أن تطبق نفس المنهج فيما يتعلق بالبعثيين. وماذا كانت النتيجة؟ إن الحزب الشيوعى السورى لم يصف أبدا ولكن الذى صفى هو حكم عبدالناصر الوطنى فى دمشق! تلك هى الحقيقة المرة التى أساءت إلى القاهرة كما أساءت إلى القوى التقدمية فى دمشق.

وصدقنى إذ أقول لك إننى أدرك تماما أن هذا التصدع فى الجبهة الوطنية وتناصر القوى الوطنية بعضها ضد بعض لم تكن حكومة القاهرة وحدها مسئولة عنه. فمن المحقق أن السياسة اليسارية للشيوعيين السوريين قد ساهمت فى خلق

هذه المشكلة وفى توسيع الخلاف. ولكن رغم ذلك على القاهرة أن تتحمل نصيبها الكامل من مسئولية ما حدث وفى خسارة الجولة الأولى فى قضية الوحدة. ومن الإنصاف أن نقول هذا بصراحة حتى لا ننكر أخطاء الماضى.

والآن وقد حدث ما حدث.. أليس من المناسب أن تتوقف كافة القوى التقدمية لتراجع مواقفها وتصلح من أخطائها؟ لقد كانت إجراءات يوليه الثورية[1] كنقطة صالحة لالتقاء كافة القوى التقدمية حول الحكومة من جديد فى النضال ضد الاستعمار والإقطاع والرأسمالية الكبيرة، ومن أجل التقدم فى طريق النمو غير الرأسمالى للبلاد. وأعتقد أن الغالبية الساحقة من المعتقلين اليوم يرون هذه الحقيقة ويقدرون الجوانب الإيجابية فى سياسة الحكومة، ويرحبون بالمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية كخطوة ديمقراطية هامة فى سبيل التطور الاجتماعى والاقتصادى للبلاد، غير أن شبح سياسة «مناهضة الشيوعية» فى الداخل مازال قائما، ومازال الكتاب والصحفيون من أمثال محمود العالم وفتحى خليل وحسن فؤاد وعبدالستار الطويلة وإبراهيم عامر وفيليب جلاب وعدلى برسوم ومثلى فى المعتقلات حتى اليوم! والحكومة تحسن صنعا بالإفراج عن المعتقلين الشيوعيين إذ إن هذه هى الخطوة الأولى الجدية لرأب الصدع ووحدة الصف وتجميع القوى التقدمية المستعدة للتعاون مع الحكومة من أجل أهداف الشعب النبيلة. ولسوف تكون هذه الخطوة أولى الخطوات فى رأب الصدع بين الأحزاب الشيوعية فى الأردن وسوريا والعراق وبين القاهرة. وبدون رأب الصدع مع الشيوعيين يصبح من المستحيل هزيمة حسين فى عمان والكريرى والدواليبى فى سوريا والأوساط الرجعية فى العراق.

إن الوقت مناسب تماما لكى يتحرك كل الكتاب والصحفيين التقدميين أمثالك فى أوساطهم الصحفية والسياسية فى هذا الاتجاه الصحيح. وإننى إذ أدعوك لهذا لا أدعوك إلى مجد شخصى أو أمر سهل. فأنا أدرك أن ثمة أجهزة فى الدولة لا ترحب بهذا، ولكننى أعتقد أن هناك أوساطا أخرى فى الحكومة

---

(١) إشارة إلى قرارات التأميم فى يوليو ١٩٦١.

مستعدة لأن تنصت لصوت العقل فى مثل هذه الظروف، وسوف تفتح هذه الخطوة الباب لعودة حكومة القاهرة إلى سابق نفوذها فى العالم العربى بدلا من هذه العزلة القائمة حاليا.

لقد انتهت سياسة الاستنكار التى اتبعتها المباحث، فيما يتعلق بالمعتقلين الشيوعيين إلى الفشل الذريع، وبعد أن تخلصت المعتقلات من بعض العناصر الضعيفة نفسيا وخلقيا، صمدت أغلبية المعتقلين الشيوعيين أمام سياسة الاستنكار مرة وثانية وثالثة. وها هى المباحث تعلن تخليها عن سياسة الاستنكار، لا تنازلا منها وتعطفا، ولكن إدراكا أنه لم يعد هناك أحد مستعد لقبول هذا العمل المشين.. فضلا عن أن الحكومة أدركت فيما يبدو ما تجره هذه السياسة من إساءة بالغة لسمعتها فى الخارج. إن التخلى عن سياسة الاستنكار خطوة نحو الاتجاه السليم، ويبقى بعد ذلك أن يتحول الكلام إلى عمل ويخرج الناس إلى الفضاء الرحب.

إن سياسة عبد الناصر الحالية المعادية للاستعمار والإقطاع والرأسمالية الكبيرة تغرى به الرجعية العربية والاستعمار. ولقد اتسعت جبهة الأعداء فى المجالين العربى والعالمى. أليس من المنطقى إذن أن تسعى الحكومة إلى توسيع جبهة الأصدقاء؟ إن أغلبية المعتقلين الشيوعيين هم موضوعيا أصدقاء للنظام، بمعنى أنهم يؤيدون أهدافه الحالية ويمدون أيديهم إليه للعمل من أجل هذه الأهداف، ومن أجل توسيع نطاق الديمقراطية التى لا يتصور تقدم جدى بدونها اليوم.

إننى أدعوك إلى التفكير والعمل والاتصال بالصحفيين والنقابة موليا أهمية خاصة لقضية الصحفيين الشيوعيين المعتقلين. وختاما تقبل تحياتى وتمنياتى لك وللسيدة الفاضلة زوجتك.

عبد العظيم

خطابها السادس

القاهرة فى ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٢

عزيزى سعد :

تحياتى وأشواقى الحارة لك، وبعد..

وصلنى خطابك وأشكرك على تذكرك عيد ميلادى.. كل سنة وأنت طيب يا سيدى... ردا على قولك «كل سنة وأنت طيبة يا ستى» ! ألم تجد فى قاموسك كلمة أنسب من ذلك ؟

معلهش يا سيدى، مقبولة منك يا سيدى !

إنك مندهش كما تقول من خطاباتى التلغرافية التى أرسلتها لك.. أرجوك أن تلاحظ أننى لا أراسلك وأنت فى مصيف بلودان أو فى مشتى الأقصر أو أسوان، ليس من المعقول أن أطيل فى خطاباتى بينما تكون خطاباتك منقطعة شهرا أو شهرين! ولعلك لاحظت أن خطاباتى لا تكون قصيرة بعد وصول خطاب منك أو حتى بعده بأسبوع أو أسبوعين.

أما الموضوع الذى اقترحته لرسالة الدبلوم فهو بلا شك مفيد جدا وهام. وقد أدرك ذلك البعض فاهتموا بالتنقيب عن غوامض ذلك التاريخ، ومن ثم ظهرت أبحاث كثيرة فى هذا الصدد. ولاشك أن أربع سنوات من الغيبة هى التى منعتك من تتبع هذه الأبحاث.

مثلا فى غرب أفريقيا ممالك إسلامية كانت لها علاقات وروابط ثقافية واقتصادية بالشمال، وظلت طول العصور الوسطى، وآخر هذه الممالك قضى عليها الاستعمار الأوروبى، كما انتشرت هناك الطرق الصوفية مثل القادرية والوهابية وغيرها، وأحيانا كان ينجح شيوخ هذه الطرق فى إقامة مملكة قوية يتولون زعامتها.

وفى شرق أفريقيا كان للخلافات التى حدثت فى الحجاز بعد موت الرسول والشقاق بين على ومعاوية أثرها فى هجرة الكثيرين من البلاد العربية إلى الضفة الغربية من البحر الأحمر والمحيط الهندى، وظهور جماعات مثل البيوريتان فى انجلترا. واستطاعت هذه الجماعات وغيرها أن تتصاهر وتندمج وتتزعم سلطنات وإمارات على طول شرق أفريقيا من القرن الأفريقى من موزامبيق الحالية.

هذه خطوط عامة للموضوع يندرج تحتها بالتفصيل مختلف المؤثرات. وأنا فى انتظار رأيك بخصوص الموضوع الذى اقترحته أنت فى خطاب سابق، فأنا لم أسجل الرسالة بعد.

لا تتصور مدى فرحتى وفخرى بنشاطك الثقافى.. أريد أن أتتبع باستمرار هذا النشاط.. إن هذه الكنوز لابد أن ترى النور يوما، لابد يا عزيزى.. لابد.

الجميع يسألون عنك ويدعون لك.. أما أنا فكل أشواقى لك، وتمنياتى لكم ولنا جميعا بأعوام قادمة أفضل.

«عنايات»

خطابى الخامس عشر
الواحات فى ١٣/ ١/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة :

أشواقى وقبلاتى الحارة أرسلها لك من هنا راجيا أن تكونى أنت وإخوتى فى خير صحه وحال. لقد أرسلت لك قبل رأس السنة الميلادية خطابا أهنئك فيه بعيد ميلادك. أرجو أن يكون قد وصلك وهأنذا أرسل هذا الخطاب متمسكا بوعدى بأن أرسل إليك وإلى إخوتى خطابا كلما أمكننى ذلك، وأرجو أن تثقى دائما أننى لا أدع فرصة تمر دون أن أكتب، إذ إن الكتابة إليك عزاء كبير لى بعد هذا الفراق الطويل.

لقد وصلنى خطابك الأخير، وسرنى جدا وخصوصا أنباء برنامج «شخصيات عالمية» الذى تقدمينه فى التليفزيون. وكم كنت أتمنى أن يكون لدينا هنا تليفزيون لأسمع وأرى بنفسى وأقول لك رأيى. إننا حتى اليوم لا نملك راديو فى سجن الواحات على الرغم من أن السلطات المختصة قد سمحت لنا رسميا بالراديو. ولكن إدارة السجن مازالت أمامها الإجراءات الروتينية فى شراء الراديو من مناقصات.. إلخ. وحتى اليوم لم تنته هذه الإجراءات المعقدة، ونرجو أن تنتهى قريبا حتى نتمتع بسماع الأحاديث والأغانى ونرتبط أكثر بما يجرى فى بلادنا من أحداث ثقافية وسياسية.

لقد بدأت السنة الخامسة فى هذا الاعتقال الغريب. ولست أدرى إن كنا سنبدأ أيضا السنة السادسة هنا! المهم أن تكونى شجاعة كما عودتنى دائما وأن

تكونى عند حسن ظنى ياحبوبة فى كل شىء. وأنا واثق أن الشخصية القوية التى جعلتك تصمدين طول هذه السنوات الأربع الماضية ستجعلك تصمدين دائما . أما عن أمنياتك الثلاث الخاصة بى (الاحتفاظ بابتسامتى، بصحتى، ونشاطى الفكرى) فأرجو أن تثقى أننى سأحافظ عليها بكل طاقتى، وأعتقد أننى سأكون عند حسن ظنك وظن كل الناس بى دائما. إننا نحاول هنا أن نجعل من أيامنا المجدبة شيئا مفيدا بالدراسة والبحث والقراءة.

غير أن هناك جانبا ثقافيا هاما لم أحدثك عنه من قبل وأعتقد أنه يهمك. لقد صممنا على إخراج مسرحيات هنا، وبذلنا كل جهد لكى تكون فى المستوى اللائق. ولقد نجحنا إلى حد كبير.. لقد أقمنا مسرحا مؤقتا أشبه بمسرح الجيب، وقدمنا عليه عدة مسرحيات منها «حلاق بغداد» لألفريد فرج (وقد ألفها وهو هنا)، ومنها (ولا تندهشى!) مسرحية «ماكبث» لشكسبير ولقد نجحت إلى حد كبير. ولقد كان طريفا أن تكون هذه المسرحية على الخشبة هنا فى نفس الوقت الذى تمثل فيه على المسرح القومى بالقاهرة. لقد استغرق إعداد المسرحية هنا شهرين من البروفات المتواصلة، وتحايلنا بكل الطرق للتغلب على صعوبات الملابس والديكور والشخصيات النسائية.. إلخ. وفى النهاية أذهل نجاحنا إدارة السجن، والحقيقة أننا فخورون تماما بهذا العمل.

جانب آخر من جوانب حياتنا هنا قد يهمك وهو جانب الرياضة. فى لعبة كرة السلة لدينا فريقان (الأصفر والأخضر) يلعبان مرة أسبوعيا مباراة تثير كل المعتقل. والناس هنا يتحمسون لكل فريق كما يتحمس أهل القاهرة للأهلى والزمالك. ولذلك فكل يوم جمعة هنا هو يوم مثير لأنه يوم المباريات الرياضية.

نسيت أيضا أن أذكر لك أننا هنا نبنى مسرحا (من الحجارة والطوب) فى فناء السجن، وقد تقدمنا فى البناء مرحلة طويلة، ووضع تصميم المسرح وأشرف على التنفيذ الصديق المهندس فوزى حبشى. وهذا العمل يجمع حماس المعتقلين واندفاعهم. وقد ارتفع البناء أمام أعين الجميع ودهشتهم. هذا طبعا غير عمل المعتقلين فى المزرعة المجاورة للسجن والتى تزرع الكوسة والبطاطا والفول والبسلة

والطماطم.. الخ. لذلك فنحن نقوم بالطهى فى غرفنا، وهذا سر طلبى بعض التوابل منكم لترسلوها فى الطرود.

يكفى هذا عن حياتنا، أما عن صحتى فهى طيبة ولا أشكو من أى شىء غير البرد، وعندما يصلنى البلوفر الجديد سأشعر بالليل بالدفء. النهار هنا دافئ تماما والشمس أحيانا شديدة بالنهار، ولكن المصيبة هو الليل وقسوة البرد فيه. إن لدينا هنا حالتى إصابة بالسل بين المعتقلين، هذا غير النزلات الشعبية. والحقيقة أننى أخفى عليك أن حالات العديدين الصحية غير مرضية. هنا حالات مثل الرسام داود الذى أصيب أخيرا بمرض القلب، وحالات الروماتيزم والكبد.. إلخ. ثم هناك حالة فتحى خليل عبد الفتاح وهى الحالة التى أريد أن أحدثك عنها. لعلك قرأت فى الصحف عن الحادث الفاجع فى سجن القاهرة، وأعنى محاولة انتحاره! ولسنا نعرف الظروف التى أدت إلى هذه الفاجعة المحزنة وإن كنت أرجح أنه فقد إحدى عينيه أثر عملية فاشلة، إذ إنه تركنا وسافر إلى القاهرة منذ شهور لإجراء عملية جراحية فى عينه التى كان على وشك فقدها بسبب إهمال العلاج لها هذه السنوات الأربع وما مر بنا من أحداث! ويظن أيضا أن المباحث أو أهله يمارسون عليه ضغطا ويساومونه فى عقيدته. ومثل هذا الحادث لا يمكن أن يمر هكذا. ومن الواجب أن تعلم به نقابة الصحفيين وكل المحررين فى الصحف، وأن تفضح هذه الجريمة البشعة التى أدت إلى هذه النهاية الفاجعة. لقد أسعف فتحى كما يقال فى الصحف، غير أننا قلقون عليه جدا ولاندرى مصيره ويهمنا أن نعرف.

ختاما لك قبلاتى الحارة يا حبوبة، وأشواقى إلى جميع إخوتى راجيا للجميع الصحة والسعادة.

«كامل»

خطابها السابع

القاهرة فى ٢٤/ ١/ ١٩٦٣

عزيزى سعد :

تحياتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

وصلنى خطابك وشكرا لتنفيذك لوعدك، وأنا واثقة طبعا أنك تحرص على الكتابة فى كل فرصة، فلاشك أنك تعلم أن رغبتنا فى الاطمئنان عليك لا تقل عن رغبتك فى الاطمئنان على أخبارنا.

سررت جدا جدا بالنشاط المسرحى والرياضى عندكم. كنت أتمنى أن أعرف دورك فى هذا النوع من النشاط المسرحى.. إننى لا أتصورك فى دور مكبث أو بنكو أو دنكان مثلا.. طبعا ولا ليدى مكبث.. أليس كذلك؟ الواقع أنه دور يصلح جدا لرجل.

مسرح الجيب يعرض مسرحية بيكيت «لعبة النهاية»، لابد أنك سمعت عنها، فلا حديث إلا عنها، ولا تعليق مسرحى إلا حولها. كنت أرجو أن أتمكن من مشاهدتها قبل أن تنتهى. إن فلسفة بيكيت بعيدة عنا تماما، ولكن لاشك أن الوقوف علي هذه الجهود شىء لابد منه.

تعرض فى التليفزيون الآن مسرحية «القضية» للطفى الخولى. للأسف الشديد بدأها بخطبة عن الإصلاح وما إلى ذلك.. كنت أرجو أن ينقل لنا آراءه دون خطب.. المسألة تحتاج إلى مزيد من الذكاء. إن فيلم «الحى الغربى» الذى

كتبت لك عنه نقل لنا كل آراء الكاتب بدون خطب أو مواعظ. إن ذلك ليس حكما بالطبع على مسرحية لطفى فأنا لم أشاهد منها إلا جزءا صغيرا، ولكن من الغريب أن يصدم الجمهور فى الدقائق الأولى بالخطب !

أما عن أخبارى.. فقد أذيع برنامجان لى فى التليفزيون، ستذاع الحلقة الثالثة غدا عن مصطفى كمال أتاتورك.. أرجو أن أستمر فى هذا البرنامج دون معوقات.

إننى لم أنس عيد ميلاد منى الذى اقترب. لقد اشتريت لها بالفعل منذ أربعة أيام قماش فستان ورجوت تحية أن ترسل لها قبل عيد ميلادها حتى يمكن تفصيله على العيد. كم أتمنى أن تستطيع رؤيتها بفستانها الجديد، تقبلك وتضمها إليك وتطلب منك العيدية فتعطيها كل ما فى جيبك من قطع فضية جديدة.. لابد أن يأتى هذا اليوم. لابد أن يأتى هذا اليوم الذى تملأ فيه عيناك بالدموع، دموع الفرحة وأنت تضم منى فى ذراع ووفاء فى ذراع آخر.. تضمهما حتى تكاد تعتصرهما من فرط سعادتك بهما. لاشك أنك فى هذه اللحظة تشعر وكأنك تضم الحياة كلها.. كل ما هو جميل فى الحياة: الحب والابتسامة والحنان والأغنية والفرحة. لن يكون ذلك حلما أبدا.. قد تعيش مع أحلامك هذه اللحظات، ولكنك سوف تعيشها فى المستقبل فعلا على أرض بلا أسوار وتحت سماء بلا حدود. سوف تجرى معهما وتقهقه معهما، وسوف ينبض قلباهما الصغيران فى صدرك.

وأخيرا أملى أن تتذكر دائما أمنياتى الثلاث.. إن تحقيق هذه الأمنيات الثلاث هو أهم شئ بالنسبة لى.. ولا شئ يهم بعد ذلك.. أتفهم؟ لا شئ يهم بعد ذلك.

تحياتى لكم جميعا. ولك كل أشواقى وتمنياتى.

«عنايات»

خطابى السادس عشر
الواحات فى ٥/ ٢/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة :

أقبلك قبلاتٌ حارة وأبثك أشواقى الزائدة، وأرجو أن تكونى بخير وفى صحة جيدة.

أرسلت لك خطابا بتاريخ ٦٣/١/١٨ وحدثتك فيه عن وصول الطرد وبه البلوفر والفوطة، وكيف أن علبة الزيت قد انكسرت وإن كان من حسن الحظ أنها لم تصب الفوطة والبلوفر!

أما عن أحوالى هنا فأنا بخير، ولست فى حاجة إلى أى شىء الآن ويكفى ماتحمله إخوتى من أجلى. أما عن كتاب «العلم والحضارة» فلم أتقدم خطوة واحدة بعد الانتهاء من كتابة الجزء الأول وذلك لظروف خارجة عن إرادتى[1] وإن كنت سأبدأ من جديد خلال أيام فيما أظن. لقد شغلنا فى الأيام الماضية بإعداد بعض الاسكتشات عن الأراجوز استعدادا لحفلة عيد الفطر، ويقيم الزملاء سهرات ناجحة فى رمضان تتركز أساسا على عمل (ندوات شعر)، وقد استطاع الشاعر فؤاد حداد أن يقدم لنا ملحمة شعرية بالعامية عن «الشاطر حسن»

(١) فى حملات التفتيش المفاجئة لإدارة السجن كانت تصادر كل ما تجده من كتب لدينا، وأذكر عن هذه الفترة بالذات أننا اضطررنا إلى تخبئة جميع الكتب النفيسة تحت الأرض بعد وصول إشاعات باعتزام الإدارة القيام بحملة تفتيشية واسعة.

يتخللها غناء على الربابة. وهى عمل فنى ممتاز أثار إعجاب الجميع. وقد بدأ بعضنا إجراء تجارب على «خيال الظل» ونجحت وسيقدمون فى الغيد بعض التجارب. وهكذا ترين أننا نحاول بكل جهدنا الانتفاع من الوقت وتقديم شىء مفيد للناس.

بخصوص مسرحية «مكبث» لم يكن لى دور فى التمثيل طبعا ولا أظن أنى كنت أصلح لأى دور. طبعا ولا دور ليدى ماكبث يا حبوبة! (وكفاية تريقة على) ولم يخرج دورى فى هذه المسرحية عن حضور البروفات وإبداء بعض الملاحظات على العمل. وقد عرضت كلامك عن مكبث على الصديق الذى مثل دور ليدى مكبث فضحك كثيرا، وإن كنا لانوافقك على أن دور ليدى مكبث لا يصلح الا لرجل؛ فالحقيقة أن بعض النساء أشد شرا من بعض الرجال!

لقد بدأ السماح للمعتقلين بالزيارات، وتمت هذه الزيارات فى سجن أسيوط تسهيلا للأهالى، ولا أدرى إن كان فى استطاعة أخى محمد الحصول على إذن بزيارتى. نحن نتابع هنا باهتمام كبير مقالات محمد الجديدة عن المراسلات بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى، ونرجو أن تكون هذه المقالات فرصة لتقييم جاد لحزب الوفد لا يهدر فيه تاريخ هذا الحزب فى النضال الوطنى والديمقراطى، ولا تغطى فيه جوانبه السلبية فى نفس الوقت. وأعتقد أن محمد أصلح واحد لإنجاز هذا العمل الجليل..

إننى فى حاجة إلى نسخة من كل بحث نشرته فى العلوم الرياضية فى المجلات العلمية البريطانية والأمريكية، ونسخة من بحث ليندلى وهو موجود ضمن أوراقى بالمكتبة، وأنا أحاول القيام ببعض دراسات محدودة فى الرياضة، وكذلك نحن فى حاجة إلى كتاب «موسيقى الشعر» للدكتور إبراهيم أخى وكتب محمد الجديدة فى التاريخ.

ماذا فعلت بالصورة التى أرسلتها لك مع نوال؟ لابد أنها لم تعجبك ولذا أهملت الحديث عنها. أمنياتك الثلاث على عينى ورأسى ولن أنساها أبدا. ولى

أنا أمنية عندك وهى أن ترسلى لى صورة كاملة لك، أى بطول جسمك؛ لقد اشتقت إلى هذه الصورة وأرجو إرسالها.

قبلاتى وأشواقى

«كامل»

خطابى السابع عشر
الواحات فى ٢٥/ ٤/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة :

أشواقى وقبلاتى الحارة أرسلها لك من هنا راجيا أن تكونى فى خير حال وأحسن صحة، وبعد..

وصلتنى كل خطاباتك وخطابات إخوتى، وإن كان قد أزعجنى ماذكرته عن صحة محمد أخى وأرجو أن تفيدينى عم يشكو بالضبط؟ لقد كنت أتابع مقالاته فى الصحف المصرية وأحاديثه وكنت أشعر بسرور شديد لأنه يعمل فى نشاط، ولكن جاء كلامك الأخير عن صحته فأزعجنى.

قرأت باهتمام خطابك عن مسرحية بيكيت «فى انتظار جودو»، والحقيقة أننى تابعت تلخيصا لها من د. لويس عوض فى ملحق الأهرام. ولا أخفيك عدم إعجابى بهذا اللون من المسرحيات. نحن هنا نتابع باهتمام كل نشاط ثقافى فى الصحف والمجلات. وقد يدهشك أن تعلمى أننا قد أقمنا احتفالا كبيرا بيوم المسرح العالمى، وقدمنا فيه مشاهد من أربع مسرحيات لكبار الكتاب المعروفين: «موت بائع جوال» لآرثر ميللر، «قيصر وكليوباترة» لبرناردشو، «البورجوازى الصغير» لجوركى، «بيت الدمية» لإبسن. وقد بذل الزملاء جهدا كبيرا لإنجاح الحفل وان لم يكن التمثيل ممتازا فى مسرحيتين.

أما من ناحية نشاطى الخاص فقد مر الشهر الأخير وأنا فى نشاط دائم كخلية النحل.. تقدمت مرحلة هامة فى كتابة الفصل الثانى من «العلم والحضارة»، ألقيت محاضرة عامة عن حزب البعث، وقد حظيت باهتمام ومناقشات، وبدأت إلقاء ثلاث محاضرات عامة عن «الإحصاء فى خدمة العلم والمجتمع» وقد ألقيت منها محاضرتين، والثالثة موعدها الأسبوع القادم. وقد أدهشنى الإقبال على هذا النوع من المحاضرات مع أنى توقعت إقبالا محدودا لجفاف الموضوع وصعوبته، كما أننا بصدد إصدار مجلة أدبية شهرية مكتوبة بالخط الجميل ومزينة بالرسوم. وقد كتبت فيها مقالا أدبيا عن هيمنجواى مرة أخرى!

والمقال عبارة عن دراسة لإنتاجه فى الفترة ١٩٣٥ ـ ١٩٤٠ أثر عودته من الحرب الاسبانية وما حدث له من تغير فى الموقف الفكرى والفنى، والمقال بعنوان: «وداعًا أيها السلام الخاص» إشارة إلى روايته «وداعا أيها السلاح» قبل الحرب الأهلية الإسبانية حيث كان هيمنجواى أحد الساخطين على حضارة الغرب والمجتمع الأمريكى، ولكنه كان ضالا وتائها. وروايته «وداعا أيها السلاح» هى أحد أعماله الأدبية الممتازة التى كتبت بأسلوب جميل وإن كانت تعبيرا عن محاولة البحث عن حل خاص. لقد هرب هنرى من الحرب وأخذ حبيبته معه إلى سويسرا بعيدا عن الوحشية وقسوة العالم. وهناك قال لزوجته «أنا وأنت صنعنا سلامنا الخاص»، ولكنه كان واهما فى ذلك فالقدر لم يرحمه، وكاترين ماتت بعد أن وضعت مولودها الأول.. هكذا كان موقف هيمنجواى حتى الحرب الإسبانية، ولكن صدمة الحرب الإسبانية ونضال الجمهوريين البطولى قد أقنعه بأن هناك رسالة يجب أن نشارك فيها جميعا. وعاد إلى أمريكا مودعا سلامه الخاص وكتب أعظم أعماله: «لمن تدق الأجراس» و«الذين يملكون والذين لايملكون»، وأخيرا مسرحية «الطابور الخامس». كنت أود لو كان عندى من الأوراق ما يسمح لى بأن أكتب لك بتفصيل عن كل هذا، فالظروف لم تسمح لى فى الخارج أن أحدثك طويلا عن اهتماماتى الأدبية، ومن يدرى.. لعل الأيام تسمح بهذا.

أما عن مشروع كتابى «العلم والحضارة» فأنا ماض فيه بجد على الرغم من عدم كفاية المراجع، وقد اشتغلت اليوم فيه نحو خمس ساعات، وسأعود للعمل بعد انتهاء هذا الخطاب.

المهم أن أمنياتك الثلاث دائما فى ذهنى، وأنا أقرأ وأترجم وأحس بأنك بجانبى. لا تقلقى أبدا يا حبوبة على أمانيك، فأنت دائما معى حين آكل وألعب وأضحك مع الناس وأجد وأهزل. وحين أذهب لأنام تكون صورتك هى آخر ما أراه، ويكون حديثى الصامت لك هو آخر ما أقوله. وليس عندى غير أمنية واحدة.. هى أن يظل حبك لى الذى عرفته كما كان دائما، وكل شىء بعد ذلك يهون.. لاشىء يهم بعد ذلك ياحبوبة. لا شىء أبدا...

لقد انتقلت إلى عنبر (٢) بمحض اختيارى؛ فالغرفة الجديدة بحرية، وعدد الناس فيها محدود (ثمانية فقط)، وفوق ذلك فيها صديقى فايق. ولست أخفيك أننى مشفق على صحتى من قدوم الصيف وشدة الحرارة ومتاعب الكبد. لقد مر الشتاء كله دون نزلة برد، وأرجو أن يمر الصيف على خير فلا أتعرض لمتاعب الصيف الماضى.. لقد فرحت بصورتك التى أرسلتها وإن كانت الصورة المأخوذة فى «قاصد خير» قد أزعجتنى؛ فى هذه الصورة تبدين وكأنك ساهمة حزينة كبيرة السن تحملين على أكتافك هموم الدنيا، وأرجو أن تكون الإضاءة هى المسئولة عن هذا الانطباع، أما الصورة الثانية فقد كانت لذيذة تماما.

شكرا لفتحية على خطاباتها ومواقفها النبيلة هى وكل إخوتى. كم أنا مدين لها ولسعاد ومحمد أخى بالكثير، وكم أشعر بحبهم على البعد.. وكم يسرنى أن أعرف أنك دائما على علاقة طيبة بهم. ماهى أخبار اعتماد؟ هل ماتزال تذكرنى أم أنها نسيتنى فى غمرة مشاغلها؟ وهل عاد زوجها من البعثة؟ لماذا لاتحدثينى عن كل ذلك، عن آخر فستان لفت انتباهك، عن أكلة لطيفة أعجبتك، عن مكان جميل قمت بزيارته، عن آخر فيلم، عن أحاسيسك وانفعالاتك نحوى بعد هذه الغيبة الطويلة.. هل مازلت صورة واضحة فى عقلك أم أننى أتحول مع طول البعد إلى شبح يزداد غموض ملامحه؟ كل هذا وأكثر يهمنى.. إن خطاباتك مازالت أقرب إلى الخطابات الرسمية مع بعض التفاصيل. وعذرا لهذه الأسئلة وهذا الإلحاح،

فأنت تعلمين أنه لايوجد فى حياتى الشخصية غير حبك، وأرجو ألا تنسيك مشاغل الحياة وهمومها هذه الحقيقة ولو دقيقة واحدة!

نحن الاثنان لا نعيش فى هذا الموقف البطولى الذى يثير إعجاب من حولك إلا بوحدة فكرنا من ناحية، وبهذا الحب العظيم الذى يربط بيننا من ناحية أخرى. وعندما ألقى نظرة سريعة على أحداث السنوات الأربع الماضية أحس أن حبك قد حمانى كثيرا ورفع من رأسى كثيرا، ولذا فأنا مدين لك ولهذا الحب بالكثير. كثيرا ما أجلس فى مزرعة السجن صباحا وأرقب الطريق العام الذى تمضى فيه السيارات من بعيد وأحلم بك، بيوم تأتين فيه ياحبوبة وأراك وأضمك وأبكى من الفرحة وأنت معى، وأنظر إلى كل الدنيا مزهوا فرحا فخورا بك. أفكر فى كل هذا وأحس برعشة كرعشة شجرة اللبلاب وقد هزتها نسائم الصيف فى الغروب. لاتقولى إنى شاعر فأنا أعرف ذلك، ألست أنا القائل فى آخر قصيدة لى :

ياحسرة قلبى فى الأفق ...

عصفورا ملوى العنق ...

يحـــــلم بالعــــودة ...

نعــم يحلم بالعـودة الكـريمــة الشريـفة التى ترفع الرأس.. رأسك الجميل يا حبيبتى..

ختاما يا حبوبة وإلى لقاء فى خطاب قادم، أرجو أن تتاح لى فرصة فى أن أرسل لك كل قصائدى فى مجلد واحد .. أرجو أن تعجبك.

«كامل»

ملحوظة:

١ـ سوف تمر عليكم والدة (حسنين) وأرجو أن تسرعى بإرسال بحوثى فى الرياضيات معها.

٢ـ حضر اليوم مدير مصلحة السجون رأفت النحاس وأبلغنا أنه مستعد لقبول طرود من أهالى المعتقلين مرة كل شهر، بشرط أن تصله الطرود فى الأيام

الخمسة الأولى من الشهر. لقد كان جوه طيبا جدا ومنحنا بعض التسهيلات الجديدة.

٢ـ هناك موضوع الزيارة.. لقد آن الأوان أن تفكرى جديا فى زيارتى هنا فى صحبة بعض أهالى المسجونين. والظروف هنا طيبة جدا، وتسمح بمقابلتك حوالى ساعة. لقد فعل عديدون هذا ونجحت الزيارة نتيجة جو التساهل العام فى الإدارة.. أرجو التفكير فى هذا الاقتراح.

خطابى الثامن عشر
الواحات فى ٣١/ ٥/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة :

أشواقى وقبلاتى الحارة أبعث بها من هنا. لقد وصلنى خطابك اليوم، وفجعتنى الأنباء السيئة التى وردت فيه عن وفاة ابن عمتك، وأرجو أن تتقبلى عزائى الحار فى هذا المصاب الفادح. لا أدرى ماذا أقول لك فى هذه المناسبة، فكل كلام يعجز عن أن يعبر عما فى قلبى من ألم وإشفاق عليك ياحبوبة. إننى أعرف مقدار حبك لعمتك وتعلقك بها لأنها هى التى تولت رعايتك وتربيتك منذ الصغر، هذا الحب الذى جعلنى أنا أيضا أحبها وأكن لها احتراما شديدا. إن هذه السيدة نموذج للوفاء والإخلاص وعظمة الإنسانة البسيطة فى عالم ملىء بالأشرار. ولذا فانا أدرك تماما حالتك وأرجو ألا يحدث مكروه جديد. إن هذه هى أمنيتى وأملى أن أعيش حتى أخرج وأراها، وحتى لا تصطدمين أنت صدمة بشعة جديدة فى مثل هذه الظروف السيئة.

ياحبيبتى.. لقد أبكانى اليوم أن أقرأ انك كنت تبكين حتى تقرحت عيناك. وإن ما يحز فى نفسى ويقتلنى كمدا أن أحس أنى هنا لا أستطيع أن أفعل شيئا من أجلك. إن هذا الشعور قاتل وبشع.. أن يحس الإنسان أن أحب الناس إليه فى هذه الدنيا فى أزمة من هذا النوع ولا يستطيع عمل شىء له. إن ظروفنا صعبة ويبدو من خطابك أن ظروفك الشخصية أصعب مما كنت أتصور، وأنك كنت تخفين عنى الكثير كما كنت أشك دائما! ومع ذلك فيبدو أنه لا مفر أن تتحملى

بنفس الشجاعة التى عهدتها فيك أى مأساة أخرى قد تنتظرنا فى الطريق. أنت قديسة يا حبيبتى، عشت خمس سنوات فى رهبنة القديسات تتحملين الكثير من أجل مبدأ وفكرة وإنسان. وهذا الموقف موضع تقدير الجميع الذين يعرفونك شخصيا والذين لا يعرفونك، ولقد كنت فخورا بك ومازلت أمام الجميع، فهل يكون كثيرا ـ وأنت على ما أعرف ـ أن أرجوك ألا تفقدى هذه الابتسامة وأن تتحملى هذه الكوارث العائلية بنفس الروح التى عهدناها فيك دائما؟

بجانبى الآن فايق ومحمود العالم وأصدقاء آخرون لم يتركونى اليوم وهم يحسون بالأزمة التى أعيشها بسببك أنت، وهم يرسلون لك جميعا عزاءهم ورجاءهم أن تكونى فى نفس الصمود الذى عهدوه فيك دائما. وبقدر قدرتك على الصمود سأمتلئ أنا بروح العزيمة القوية القاهرة. لاتخذلينى أبدا يا حبوبة.. أبدا، فأنت لحن حياتى، وإذا انهارت أعصابك فسوف يكون لهذا أسوأ الأثر على حالتى الصحية والمعنوية!

لقد بدأت أمس فى إعادة كتابة مسودة الجزء الثانى من كتاب «العلم والحضارة»، وقد كتبت سبع عشرة صفحة عن الوضع السياسى والاقتصادى العام فى الحضارة اليونانية تمهيدا للدخول فى الجانب العلمى. وكان من المفروض أن أستمر فى الكتابة اليوم، ولكن خطابك اليوم أربكنى وجعلنى غير قادر على التركيز لإنهاء القسم الثانى من هذا الجزء. ولذا سأحاول أن أستريح بضعة أيام أعود بعدها إلى الكتابة من جديد.

ختاما أرجو أن تبلغى السيدة الجليلة عمتك، ومصطفى وصفية، خالص عزائى، وأن تبلغى إخوتى خالص أشواقى وتمنياتى. أما أنت ياحبوبة فلك خالص حبى.

«كامل»

خطابها الثامن

القاهرة فى ١٣/ ٦/ ١٩٦٣

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

وصلنى خطابك وضايقنى كثيرا تأثرك من خطابى. والحق أن هذا سبب تأخرى فى الكتابة إليك، رغم إلحاحك فى سرعة الرد. لم أستطع وقتها أن أكتب لك حتى لا أسبب لك مزيدا من الضيق. كم حاولت أن أمسك بالقلم، وكم اضطررت أن أضعه رغما عنى! إننى أتمزق، أواسى من حولى وأنا فى الحاجة إلى المواساة.

خطابك يا عزيزى كان مؤثرا للغاية، قرأته مرات ومرات.. كل كلمة فيه كان ينبغى أن تكون شحنة جديدة تمنحنى القوة والقدرة على الصمود. ولكن يبدو أني استنفدت تماما بحيث لم يعد هناك شىء يصلح فى العربة الخربة التى هى أنا.

لقد وجدت يا عزيزى بجانبك أصدقاء يواسونك ويخففون عنك رغم بعدك عن هذا الجو المثير. أما أنا فليس هناك أحد بجانبى.. أنا وحدى كالعادة دائما، وحدى أتمزق، ومع ذلك ينبغى أن أخفف وأواسى الآخرين. إن القلق الذى عشت فيه طيلة السنوات الخمس الماضية قد انفجر كله فى الفترة الأخيرة وازداد عنفا وقسوة، وقلقى على عمتى بالإضافة إلى ذلك التاريخ الطويل أصبح يعصر كل كيانى.

آسفة يا عزيزى لما أسببه لك من ضيق وحزن، وأعدك أننى لن أكتب لك عن هذه الظروف بعد ذلك.

وحياتك عندى مازلت أتذكر موضوع الصور التى طلبتها، ولابد أن أرسلها لك فى القريب وستكون صورا ضاحكة باسمة، لا كما تريد فحسب ولكن لأننى دائما أتصورك فى روحك المرحة وضحكاتك العالية، هو عزاء كبير لى.

تحياتى لكم جميعا، شكرا لمحمود وفايق وتحياتى القلبية لهما، ولك أشواقى وتمنياتى.

«عنايات»

خطابها التاسع

القاهرة فى ٢١/ ٦/ ١٩٦٣

عزيزى سعد :

تحياتي وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

كتبت لك خطابا بتاريخ ٦/١٢.. كم أرجو ألا يصلك هذا الخطاب. إن ضميرى يعذبنى لأننى سمحت لنفسى أن أكتب لك مثل هذا الخطاب. لقد اعتذرت لك فيه وأكرر اعتذارى مرة أخرى !

قرأت هذا الأسبوع شعرا لناظم حكمت لم أكن قد قرأته من قبل، وقد نشر بمناسبة وفاته، إليك مقتطفات منه:

يا إخوتى

قد تذبل الشموع

وتعتلى الليمونة صفرة الجفاف

وترتمى شجرة أصابها عفن

لكننا لسنا من الليمون والشموع والشجر

وإنما بشر

نضيف للدواء جرعة من الأمل

ونعرف الإصرار حينما نريد أن نعيش

امنح ثقتك للحب والأرض والبحر

وابدأ بالإنسان

امنح حبك للسحب والكتب والاله

واجعل أكبر حبك للإنسان

وتألم للغصن الجاف

للنجم الخامد

للحيوان المقعد

واحمل أكثر ما تحمل آلام الإنسان

ستري أفراحك وسط الظل والإشراق

أما أكبر أفراحك

فسيحملها لك إنسان

الحق أنى قرأت كثيرا لناظم حكمت، ولكن لم يهزنى شعر له كما هزتنى هذه الكلمات.. إنها تحمل أرق وأنبل ما فى الإنسان.. هل حقا يمكن أن يحمل إنسان كل هذه الإنسانية وأن يتسع قلبه لكل هذه المعانى الجميلة؟ يبدو أن عبقرية ناظم حكمت لاتتركز فى شعره بقدر ما تتركز فيما يحمله من طاقات إنسانية متجددة كالبحار والمحيطات. إن أحاسيسنا قد تتبلد أحيانا، قد يعلوها الصدأ، قد نضع حولها سياجا حتى لانرى إلا أنفسنا، ولكن قلبه هو يخفق مع أبعد نجم فى السماء !

أخبارنا يا عزيزى كلها على ما يرام. عمتى صحتها طيبة والحمد لله. ويبدو أن تجمع السيدات معا فى العزاء كان فرصة طيبة للحديث عنى، حتى بين القبور! وتستطيع طبعا أن تتصور ماذا يقلن عنك وعنى، ولكن عمتى كانت تتولى إسكاتهن بحزم شديد. كانت تنسى آلامها لحظات وتتولى الدفاع عنك بحماس يهز كل كيانها وأنك بطل من أبطال أحلامها! إنها لا تعترف أبدا بشىء اسمه «تضحية»..

لا.. ليس هناك تضحية، وانما هناك مسئولية والمسئولية يجب أن تتحملها بقوة وشجاعة. وهى كما تقول فخورة بى لذلك. ولهذا الموقف الدرامى جانب آخر.. الرجال جميعا بلا استثناء ينظرون إلى المسألة وكأننى نصف إله حتى أصبحت مضرب أمثالهم.. وربما هذا ما يغيظ بعض السيدات، ألا ترى أن هذا الجو يستحق ولو ابتسامة !

سأراك يوما ياعزيزى، وسنبتسم معا وسنضحك ونقهقه معا، لأننا لا نحمل حقدا لأحد، بل قلوبا صافية تستطيع أن تفهم وتصفح وتحب ولا تستطيع أن تكره أبدا.

قبل أن أتركك أريد أن أطمئن على أمنياتى الثلاث. لاتفكر فى أبدا دون أن تفكر فى هذه الأمنيات، ولا تذكرنى دون أن تتذكرها. إنها أغلى عندى من نفسى وحياتى.

تحياتى لكم جميعا، ولك كل أشواقى وتمنياتى.

«عنايات»

خطابى التاسع عشر
الواحات فى ١٩/ ٦/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة :

هأنذا أكتب إليك من جديد.. وقد وصلنى خطابك بتاريخ ٦/١٢، وآلمنى تماما أن أعرف عن شعورك القاتل بالوحدة وإحساسك أنه لا إنسان يقف بجانبك، والحقيقة أننى كنت كبير الأمل فى أن يكون إخوتى عونا لك فى هذه الظروف، يبدو أن هذا ليس هو الواقع وأن لديهم من المشاغل العائلية ما فيه الكفاية. ولكن أين أخوك نبيل وصديقة العمر سميحة؟[1] أين كل الناس الذين أعرف أنهم يحبونك تماما؟ لا أدرى.. والشىء القاتل أن أحس أننى عاجز عن أن أصنع شيئا من أجلك !

ينبغى أن أعترف لك أنه منذ وصول خطابك الأول وأنا منقطع عن العمل فى الجزء الثانى من الكتاب، على الرغم من أننى كنت قد أنجزت كتابة ثلثى هذا الجزء ولم يبق إلا الثلث هذا. لقد كتبت حوالى ثمانين صفحة ولم يبق غير دراسة مرحلة الإسكندرية فى الحضارة اليونانية. ومع ذلك فمنذ وصول خطابك والكتاب ينام أمامى كالجثة الهامدة لا أستطيع لمسها! وقد حاولت أن أعود إلى كتابة الجزء الأخير فعجزت تماما لأن هذا العمل فى حاجة إلى تفكير وابتكار وحسم

(١) السيدة سميحة غالب.. زوجة الشاعر المعروف الأستاذ صلاح عبد الصبور.

عدد من القضايا الفكرية. لكنى لا أستطيع ـ وأنا أشعر بحالتك السيئة ـ أن أفكر وأعمل فى صفاء.

ولقد زاد من ضيقى فى المدة الأخيرة خبر وفاة ناظم حكمت.. لقد هزنى هذا الخبر كما لم يهزنى فى الفترة الأخيرة. أنت تعلمين كم أحبه وكم تمنيت لقاءه! ولكنه حضر إلى مصر دون أن أراه ثم أغمض عينيه ومات!

لقد أقمنا هنا احتفالا كبيرا لتأبينه وعلقنا له صورة زيتية كبيرة. وعلى الجدران وضعنا أبياتا من شعره بالخط الكبير. وكان من نصيبى أن ألقى كلمة فى تأبينه، وهى كلمة طويلة دعوت فى ختامها إلى ترجمة كل أعماله إلى العربية وقلت: «بدون هذا، البكاء عليه سخف وليس محبة، يأس وليس إعزازا.. ونحن الذين نعانى فى السجن ما عاناه هو، علينا أن نترجم دموعنا إلى مواقف».

لقد مات ناظم حكمت دون أن تتحقق نبوءة الشاعر اليونانى الذى أرسل إليه من منفاه يقول:

غدا عندما ننزع أغلالنا

سنأتى لذاك

لن نضحك إذا لم نضحك معا

لن نغنى إذا لم تنته دموع العالم

نسيت أن أحدثك عن عمل مسرحى أنجزه الزملاء منذ أسابيع. لقد استطاعوا بمجهودات جبارة أن يقدموا (تيكراسوف) لسارتر، وقد استغرق عرضها على المسرح أكثر من أربع ساعات، واستمر العرض لمدة أربعة أيام. ولقد نجحت المسرحية نجاحا فائقا نتيجة إخلاص الممثلين، وأعتقد بلامبالغة أن المستوى هنا لايقل عن مستوى الإخراج فى المسرح القومى، لقد قهرت فرقتنا المسرحية السجن بهذا العمل الجليل.

أما الخبر السار الثانى فهو تركيب جهاز الراديو فى السجن أخيرا.. والحقيقة أنه بعد الفرحة الأولى بدأت أشعر بالضجيج المثير للأعصاب الذى أحدثه وجود

الراديو هنا. سبحان الله.. الهدوء نعمة! لا أدرى ماذا سأفعل عندما يفرج عنى وكيف سأحتمل ضجيج الحياة والناس!

الساعة الآن الثالثة صباحا. وأنا أجلس الآن لأكتب لك هذا الخطاب وكل من فى الحجرة نائمون، والليل هادئ هدوءا غريبا. أحس أنى لن أنام قبل الصباح ولذا فضلت أن أجلس معك ياحبوبة وأن أتحدث. أرجو أن تبلغى سعاد ألا ترسل أدوية حتى أطلبها بنفسى، فأدوية الكبد جاهزة عندى، وأدوية الكلى متوفرة هنا. لاتظنى أننى رجل عجوز لا يصلح لشىء، فعلى الرغم من متاعبى الصحية فإن لى قلبا شابا وهذا عزائى كما أقول هنا للناس ضاحكا!

آخر لحظة :

١- اضطررت إلى تأجيل إرسال هذا الخطاب لعدم وجود من يحمله معه. فى خلال هذا اتفقت مع عبدالقادر على أن تحضرى مع أخيه. وسوف يحضر هنا الأسبوع الأول من يوليو، وسيمر على إخوتى ليحضرك معه فى الزيارة. فكرى فى الموضوع جديا.

٢- نشرت جريدة ليموند الفرنسية حديثا طويلا للرئيس عبدالناصر قال فيه إنه لن تأتى نهاية عام ١٩٦٣ حتى تكون كل معسكرات الاعتقال فى مصر قد أغلقت. وقال أيضا إنه لن يعتقل بعد اليوم إنسان بسبب عقيدته السياسية، وإنه سيسمح للشيوعيين بالانضمام إلى كل التنظيمات الشعبية، ولكنه لن يسمح لهم بتأسيس حزب شيوعى، وقال أيضا إنه سيتم انتخاب مجلس أمة جديد قبل هذا التاريخ، وإنه بعد أزمة العلاقات العربية السوفيتية سنة ١٩٥٩ فإنها أصبحت ودية جدا اليوم. وعلى الرغم من أن موعد زيارة خروشوف لم يتحدد فإنه واثق من أن الزيارة ستتم.

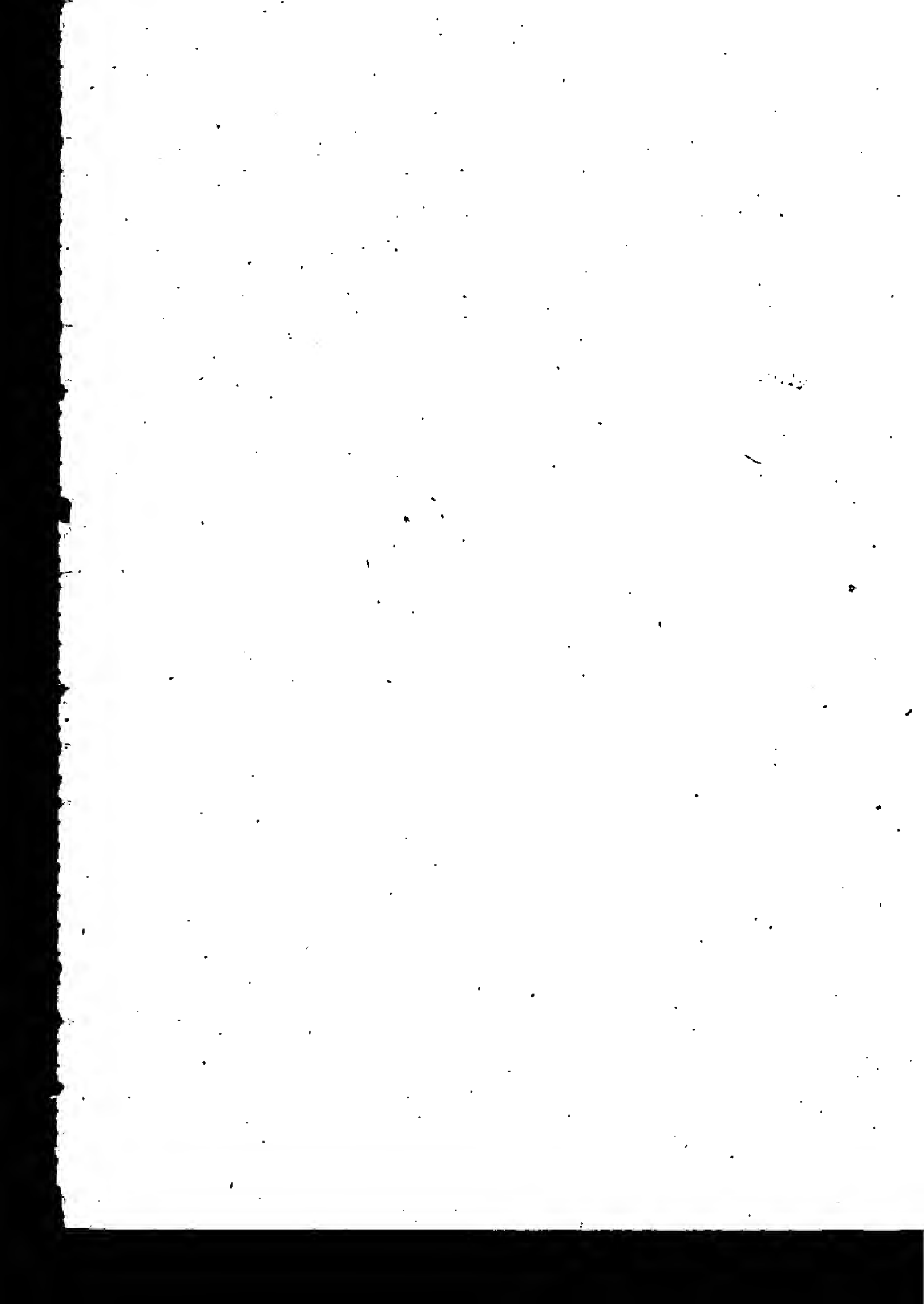
٣- علمت أن هيئات عالمية تختص بالدفاع عن حقوق الإنسان قد أرسلت خطابا إلى المسئولين فى مصر بخصوصى، هى تسأل لماذا لم يفرج عنى مادامت

المحكمة العسكرية قد حكمت ببراءتى. وقال الخطاب إن الشعب البريطانى يعرفنى كوطنى مصرى دافع عن مصر وتأميم القناة وهاجم حكومة إيدن بشدة أيام العدوان، وإنه يؤسف الرأى العام البريطانى أن يعرف أن هذا هو مصير الذين يدافعون عن بلادهم..

والخبران (٢)، (٣) أكيدان، وهما ساران كما ترين.

قبلاتى وأشواقى.

«كامل»



الفصل الرابع

الزيارة



خطابى العشرون

الواحات فى ١٧/ ٧/ ٦٣

زوجتى الحبيبة:

اليوم الأربعاء، وأنا أكتب إليك آخر الليل بحثا عن الهدوء والجو الملائم، وأعترف أنى مازلت أعيش فى جو الحلم الغريب اللذيذ الذى مر بى يوم السبت الماضى، هل صحيح يا حبوبة أننى رأيتك، ولمست يدى يدك وقبلتك مرحبا ومودعا؟ أكاد أشك، ولازالت أحلى ساعات يومى هى التى أخلو فيها إلى نفسى بعيدا عن الناس وضجتهم، أستعرض ماذا حدث فى هذه الساعات الأربع والنصف التى جمعتنا معا.. ماذا قلت لك، وماذا كنت تقولين لى دقيقة بدقيقة وثانية بثانية وأنا أكاد أجن.. الناس يسألوننى هنا ماذا قالت لك وماذا قلت لها؟ وهل سألتها عن كذا وكذا؟ وأنا لا أجيب.. من قسوة انفعالى لا أجيب، ولأنى عندما دخلت إليك أحسست أنى نصف مذهول، وخرجت وأنا نصف مخمور..

لقد كتبت نقاطا كثيرة قبل حضورك استعدادا لهذا اللقاء، أشياء كثيرة كنت أريد أن أقولها لك وأن أسألك عليها، ولكنها ضاعت من ذاكرتى عند هذه اللحظة الزمنية الفاصلة التى دخلت فيها غرفة الإدارة لكى أراك وجها لوجه، وأحسست بلا مبالغة أن الدنيا قد انقسمت قسمين: غرفة صغيرة هى العالم كله، وبقية الكون الذى لابد أن يكون ضيقا على رحابته! وخرجت من الزيارة والناس من حولى يثرثرون ويتكلمون ويضحكون، وأنا شبه مذهول أحس بخدر لذيذ يسرى فى أوصالى لا أدرى ماذا يقولون.. ولا يعنينى فى الحقيقة أن أعرف ماذا يقولون.

ثم جاء المساء وتحدث معى الكثيرون فى الغرفة، وأنا أرد على السائلين ردودا مقتضبة، أتشوق إلى لحظة إطفاء النور وذهاب الناس إلى مراقدهم، وعندئذ يا حبوبة بدأت سهرتى معك، وعشت معك وحدنا حتى الصباح لا أنام ولا أريد أن أنام.. حتى أذن مؤذن الصلاة فى سجن الواحات فغلبنى النعاس ونمت والشمس تطل برأسها من نوافذ الغرفة. وقمت من نومى بعد ساعتين.

وأنا أعرف أنى وعدتك بالعودة إلى إكمال كتاب «العلم والحضارة» يوم الأحد. وبدأت أعمل من جديد احتراما لهذا الوعد، وإحساسا بأنى سأكون قريبا منك عندما أكتب، ولم أترك العمل فيه حتى انتهيت من «مسودة» الجزء الثانى، وصممت على ألا أكتب لك حتى أكون قد انتهيت لأنى أعلم كم يرضيك هذا النبأ، وقد بدأت فى إعادة كتابة النسخة التى سأرسلها لك قريبا فيما أرجو.

لقد كان للزيارة أثر كبير على، وأرجو أن تكون كذلك بالنسبة لك، وأنا مازلت فى انتظار رسالة منك بخصوص هذا الموضوع. أما فيما يتعلق بى فالحقيقة أن هذه الزيارة قد جددت شبابى وحيويتى، ومنحتنى ثقة جديدة فى المستقبل، وإحساسا عميقا بأن الدنيا مازالت بخير كما كنت أرجو دائما، ولقد كنت دائما عظيم الثقة فيك وفى تصرفاتك، وفى حبك وفى طباعك الشخصية.

وكانت هذه الزيارة بعد غيبة عامين بمثابة تأكيد لكل ما عرفته عنك كإنسانة كبيرة ذات قلب كبير، وشجاعة، وإحساس عميق بالمسئولية، وتقدير عميق لقضية هذا الشعب وللمبادئ التى أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا نحن الاثنين. إننى أدرك أكثر من أى وقت مضى طبيعة الظروف الشاقة التى كان عليك أن تواجهيها طيلة هذه السنوات، وعندما أفكر كيف واجهت كل هذا وأنت شبه وحيدة، تكتمين عن أقرب الناس إليك كثيرا من آلامك وظروفك المالية القاسية، أحس بإكبار لا حد له نحوك يا حبوبة. إننى لا أملك إلا أن أحنى رأسى لكل هذه البطولة.. ومع ذلك أعتقد أنه قد آن الأوان لكى أتدخل محاولا المساهمة في حل بعض مشاكلك، ومن يدرى؟ لعل الأيام تسمح بتنفيذ وعود الإفراج خلال الأشهر الخمسة المقبلة، وأكون بجانبك نحل معا المشاكل كلها، أرجو من كل قلبى أن يتحقق ذلك وإن كنت غير واثق مما سيحدث تماما.. وإلى أن يتحقق هذا الأمل ينبغى أن أفاتحك برأيى فى مسألتين:

أولا: هناك مسألة صحتك، وينبغي أن أعترف لك أني فزعت من حالتك الصحية، ولقد دهش الكثيرون عند رؤيتك وأنهم تجنبوا قول ذلك لك خوفا من إفزاعك، ولقد ساءني أنك أخفيت عني ظروف مرضك وترددك على الأطباء، وأنا أرجو وألح وأناشدك قضاء بضعة أسابيع في أي مصيف من المصايف، إن هذا سيساعدك كثيرا، كما أقترح عليك تجنب بقائك في البيت وحدك بأي ثمن، لا أخفي عليك قلقي الشديد من حالتك الصحية، ولا أريد أن أتصور أن هذه الحالة سوف تستمر أبدا.

ثانيا: هناك مسألة العمل، ومازلت ألح على أخي محمد أن يتدخل في هذا الموضوع فورا، ويبحث إمكانية تعيينك في أية صحيفة أو مجلة بشكل دائم، وأنا أعرف أنه ليس بالرجل ذي النفوذ الكبير، وإذا كنت أثقل عليه فإنما أفعل هذا واثقا من حبه وتقديره لي، وأنه لن يخذلني في مسألة كهذه. إن بقاء وضعك في هذه الحالة بلا عمل ثابت هو جرح عميق ينزف في قلبي، ولا أعتقد أن هذا يرضيه! إنني أكتب إلى محمد أخي وابن أمي، الإنسان الذي أحببته كما لم أحب رجلا قط، وباسم هذا الحب الذي جمع بين رأسينا في حضن أمي ونحن صغار أكتب إليه وأرجوه مقابلة كل أصدقائي (أو من كانوا أصدقائي يوما ما) في الصحافة، وأن يعمل على تعيينك، وأعده أنني لن أفاتحه في أي مسألة أخرى إذا أنجز هذا الرجاء.

لقد حملتك قبلاتي إلى إخوتي فتحية وسعاد وفاطمة وعائشة ومحمد، وأرجو أن تكوني قد نقلت إليهم خالص حبي وتمنياتي وكذلك تمنياتي وأشواقي لعمتك وخالتك عنايات وزوجها ومصطفى وصفية والطفل الجميل خالد، وإلى نبيل وكل من يسأل عني.

لقد اكتشفت بعد الزيارة أن بحثا لي صدر في عام ١٩٥٥ في مجلة بيوميتركا في بريطانيا لم يكن ضمن البحوث التي جاءت معك.. كذلك الكتاب الذي يضم مسرحيتي «أوكازي»، أرجو إرسالهما مع الدبلة[١] في أقرب وقت، لقد نسيت أن

(١) من الإجراءات التقليدية في مصلحة السجون سحب دبلة الزواج من يد المسجون أو المعتقل وتسليمها لأهله وهكذا وصلت دبلة زواجي إلى زوجتي، ومع اتساع الزيارات وجو التساهل في الواحات في السنة الأخيرة استطاع المعتقلون إعادة دبل الزواج إلى أصابعهم مرة أخرى.

أحدثك عن قصيدة «موعد» التى كتبتها منذ أربعة شهور.. ولقد تم تلحينها هى أيضا، متى يا حبوبة تسمعين بنفسك هذه الألحان؟

ختاما أرجو من سعاد أن تفيدنى بأخبار منى ووفاء، ونتيجة الامتحانات، وقبلاتى الحارة لهما، ولك منى أخلص الحب والأشواق.

«كامل»

خطابها العاشر

(بعد الزيارة) القاهرة فى ٢٢/ ٧/ ٦٣

عزيزى سعد

أشواقى وقبلاتى الحارة لك، وبعد..

أرجو المعذرة إن كنت تأخرت فى الكتابة إليك بعد عودتى من الزيارة، فالواقع أنى لم أكن أريد أن أرسل إليك هذا الخطاب قبل أن أقوم بزيارة أهل فائق[1] كما كلفنى، وهم جميعا بخير ومشتاقون إليه ويتطلعون إلى يوم الإفراج عنه قريبا.

كذلك تحدثت إلى أخيك محمد بالتليفون، وإلى أختك فتحية وفاطمة، وطمأنتهم جميعا عليك. أبلغتنى فتحية أنها اشترت لى هدية من إيطاليا وتنتظر زيارتى لها لاستلام الهدية.

عمتى تسأل عنك وتبعث لك بتحياتها، أيضا سميحة وصفية والجميع. تصور صفية طلبت منى الآتى: «صفى لنا شعورك أثناء الزيارة»، وتصر أمام الجميع على أن أرتجل موضوع إنشاء يصلح له هذا العنوان!

أعتقد يا عزيزى أنها كانت أكثر من فرحة باللقاء بعد غياب سنتين.. وهى فرحة تحمل أيضا أملا كبيرا فى لقاء دائم وقريب.

تحياتى لكم جميعا.. ولك قبلاتى وضماتى.

«عنايات»

---

(١) د. فائق فريد وكيل وزارة الكهرباء.

خطابها الحادى عشر

الإسكندرية فى ١٤/ ٨/ ١٩٦٣

عزيزى سعد:

تحياتى وأشواقى إليك، وبعد..

أكتب إليك وأنا على شاطئ ميامى.. لقد أمضيت فترة طويلة فى اللعب مع خالد تارة فى الرمل وتارة فى البحر.. إن اللعب مع هذا الطفل الوديع متعة لا تعادلها متعة أخرى عندى، عندما أكون معه أنسى الزمن وأنسى كل ما حولى.. براءة ابتسامته وعينيه فيها سحر الحياة! لن أستطرد أكثر من ذلك لأنى قد استغرق الخطاب كله فى الحديث عن خالد.

أول أمس كنا فى المعمورة مع أم خالد وإخوتها.. إننى أمضى معهم أياما ممتعة، ولكن للأسف لم يبق لى غير يومين وأعود إلى حر القاهرة ورطوبتها والعمل المتقطع والتعب.

أكتب لك كل هذا، ولا أدرى إن كان سيصلك هذا الخطاب فقد علمت من مصادر مختلفة أنه قد تم ترحيلك مع كثيرين، ولا أدرى مدى صحة هذه الأخبار، وأرجو عند عودتى إلى القاهرة أن أجد خطابا منك يوضح أين أنت الآن. سوف أعود إلى القاهرة يوم ١٨/ ٨ حيث تنتهى أجازتى، وبذلك أكون قد قضيت أسبوعين كاملين بالإسكندرية.

تحياتى لكم جميعا.. ولك أشواقى.

«عنايات»

خطابى الحادى والعشرون

الواحات فى ٢٣/ ٨/ ٦٣

زوجتى الحبيبة:

هـأنذا أرسل لك خطابى من الواحات راجيا أن تكون صحتك قد تحسنت وأعصابك قد استراحت بعد أجازة أسبوعين فى الإسكندرية.

لقد وصلنى خطابك من الإسكندرية وأعترف أننى كنت غاضبا من قصره وعدم احترامك لموعدنا الأسبوعى فى الكتابة، وأنا أرحب دائما أن تجددى حياتك ونشاطك بالمصيف، ولكنى لا أفهم لماذا يكون هذا سببا فى الخطابات الموجزة! وأعترف أيضا أننى كتبت لك خطابا موجزا لم يزد عن أربعة أسطر قلت لك فيه إننى مازلت فى الواحات وإنه قد وصلنى خطابك من الإسكندرية، وبعد أن وضعت الخطاب فى الظرف وأغلقته لم يطاوعنى قلبى أن يصلك خطاب من هذا النوع، ولذلك مزقت الخطاب وكتبت لك خطابى هذا.

يبدو أن الإشاعات المسرفة فى التفاؤل قد بدأت تغزوكم بالجملة، وأرجو ألا تكونى أنت ضحية هذه الإشاعات، لست أعنى أننى غير متفائل، بل على العكس فإن أملى كبير جدا فى الإفراج وأعتقد أننا سنخرج قبل نهاية هذا العام مالم يحدث شىء سياسى غير متوقع.. ومع ذلك فأنا أكاد أوقن أنى سأكون فى الدفعة الأخيرة فى الإفراج.. وحقيقة أنكم فشلتم فى الحصول على إذن رسمى بزيارتى فى الوقت الذى نجح فيه عديدون فى ذلك.. دليل على نظرة المسئولين غير الودية نحوى. المهم أنى لا أتوقع الإفراج قبل ديسمبر، ولذا أرجوكم أن تتصرفوا فى

مسائل الخطابات والحوالات كالعادة، وسأوافيكم أولا بأول بأخبارى على جناح السرعة.

لقد رحلت من هنا دفعة عددها ٧٠ في يوم ١٤ أغسطس، وهى تضم - فايق فريد وحسين كمال الدين وحسن فؤاد رسام صباح الخير، وفتحى خليل المحرر بروز اليوسف ولطفى فطين.. إلخ، وإذا علمت أن فى معتقل الفيوم حوالى ٤٢ لم يفرج عنهم بعد لكان معنى هذا أن أمام الداخلية ١١٢ تتولى الإفراج عنهم قبل أن ترحل أحدا من الواحات. ولا شك أن ترحيل فايق خسارة كبيرة لى؛ فهو صديق حميم، غير أن عزائى هو بقاء محمود العالم، وأتوقع أنه سوف يفرج عنا فى دفعة واحدة.

أما عن أحوالى الصحية، فالحقيقة أننى لست فىَ أحسن أحوالى الصحية؛ إن الحرارة قاتلة هذا الشهر على غير ما توقعنا، وأنا أعانى من الحرارة عناء شديدا، والأسوأ من ذلك أن ما حدث لى فى الصيف الماضى قد عاد من جديد، فقد بدأ نصف جسمى الأسفل يمتلئ بحبوب وبثور غريبة تتحول بعد أيام إلى دمامل صغيرة، ولقد بدأت هذه الظاهرة فى النصف الأول من هذا الشهر، ثم أخذت فى الازدياد، وأنا الآن أعود إلى علاج الصيف الماضى.. حقن فيتامين «ب» مركب وحقن فيتامين «ج» وبنسلين وخميرة بيرة.. وبعض الأطباء يقولون إن الكبد هو السبب وآخرون يقولون إنها حساسية من شدة الحرارة.

وطبعا هذه المضايقات ترهقنى وتشلنى عن العمل المنتج.. ولذا لم أفعل شيئا منذ أنهيت الجزء الثانى من كتابى غير قراءة بعض الروايات الأجنبية وإعداد دراسة عن الشاعر الصينى «فنج شيه» بمناسبة ترجمتنا لملحمته الرائعة «رحلة إلى الشمال»، التى نشرها سنة ١٩٢٨، كذلك أقمنا ندوة واسعة لمناقشة مسرحية «نيكراسوف» لسارتر، وقدمت بحثا فى هذه الندوة بعنوان «تأويل الشخصيات الرئيسية فى مسرحية نيكراسوف»، وأحاول جمع كل ما كتبت عن الأدب والمسرح والفن فى كتيب أرجو أن أرسله لك قريبا.

هناك مسألة أود أن أحدثك عنها.. لقد آن الأوان فيما أعتقد لأن تفكرى فى موضوع سكننا عند خروجى، وطبعا أنا أترك كل شىء فى نهاية الأمر لك، غير

أنىْ أوضح رغبتى فى هذا الموضوع. أنت لاشك تعلمين أننى أميل إلى أن نسكن وحدنا، وأملى أن تجدى شقة من غرفتين وصالة فى حى يناسبك، كما أرجو أن تفكرى فى شراء غرفة نوم بسيطة (ولو مستعملة)، وإذا اضطررت للاستدانة من أجل هذه الغرفة فسأتولى أنا تسديد هذا الدين عند خروجى.

لقد فرحت بخطاب منى تماما، كم أسعدنى أن أقرأ كلماتها، وكم اشتقت إلى رؤيتها هى ووفاء! قبلاتى وأشواقى.

«كامل»

خطابى الثانى والعشرون

زوجتى الحبيبة:

وصلنى بالأمس خطابك الذى أرسلته من القاهرة بعد عودتك من الإسكندرية، ومنذ أيام قليلة وصلنى خطاب جديد من محمد ومنى من راس البر، فكان لذلك أجمل الأثر فى نفسى. لا أخفيك أننى شديد التفكير والقلق على منى، وما يمكن أن يكون قد حدث لها من تغيرات نفسية وفكرية طول هذه السنوات الخمس وأنا بعيد عنها، ولذا كان سرورى عظيما لوصول خطاب منها، فقد أكد لى الخطابان أن علاقتها بى مازالت كما هى، ولقد كانت لفتة محمد أخى (يأخذنى معه إلى المصيف) جميلة، وقد دلت على مدى تفكيره فى وفى أولادى.

كذلك سرنى حديثك عن هدية فتحية لك من إيطاليا، الحقيقة أن ظروف السجن قد عمقت من ارتباطى وتعلقى الأبدى بها، لقد قربت هذه التجربة بينى وبين فتحية ومحمد بشكل يفوق الحد، أما سعاد فقد كانت دائما ذات مكانة خاصة فى قلبى من قبل هذه التجربة كما لاشك تعرفين، وما فعلته من أجلى لم يكن إلا ما توقعته منها دائما أبدا!

يبدو أنكم تسمعون الكثير عن أنباء الإفراج، وأنكم تعيشون فى دوامة الإشاعات. إن كل الأهالى الذين يأتون إلى هنا فى زيارات يؤكدون أنى خرجت فعلا، وأنى شوهدت فى شوارع القاهرة وفى دور الصحف بل وفى حفلات السفارات! بحيث أصبحت أشعر أن الناس لا عمل لهم إلا اختراع الإشاعات،

وطبعا أتمنى هذا الإفراج الموعود، وأعتقد أننى سأخرج فى ديسمبر. لقد كانت أمنيتى أن أكون بالخارج قبل ٥ نوفمبر حتى نحتفل سويا بعيد زواجنا، ومازلت آمل أننا سنحتفل بعيد ميلادك سويا فى أول يناير.

قلت لك فى خطابى السابق أن دفعة من ٧٠ معتقلا قد رحلت إلى الفيوم تمهيدا للإفراج.. ويقال إن هناك دفعة أخرى على وشك الرحيل، ولست أخفى عليك أننا نعيش فترة قلقة من الناحية النفسية وأننا متوترون عصبيا من كثرة إشاعات الإفراج.. وقد أصبحت أهرب من الناس وأذهب إلى مكان بعيدا لأقرأ، وعندما أبدأ القراءة فى أى كتاب جديد أجد صعوبة فى التركيز، فأنا أفكر دائما فى الخارج.. فى منزلنا عندما أخرج.. فيك وفى ظروفك.. فى منى ووفاء وإخوتى.. فى مشاكل العمل عندما أخرج.. والمشاكل المالية.. إلخ. صحيح أنى لا أستطيع أن أفعل شيئا فى كل هذا من هنا، ولكنى لا أستطيع منع نفسى من التفكير حتى أصبحت مرهقا من الأرق.

وثمة شىء آخر يلح على إلحاحا مستمرا.. إننى أشعر بمرارة شديدة تجاه عدد من أصدقائى القدامى، فمنهم من طعننا فى ظهورنا فى أحلك ساعات المحنة.. ومنهم من لم يكلف نفسه عناء السؤال عنك أو عن الأولاد، هل صحيح أنه من الممكن أن أستقبل هؤلاء فى منزلى من جديد؟ لا أعتقد أننى سأكون قادرا على ذلك بعد كل ما حدث..

تلك عينة من أفكارى وشطحاتى، وهناك مسائل كثيرة أخرى تجول فى خاطرى، ولكن لن أصدع دماغك بالحديث عنها حتى أراك. هل تفكرين فى زيارة جديدة لى فى شهر سبتمبر؟ أرجوك أن تحضرى.

لقد سرنى كلام صفية وتفكيرها فى مسألة العشة.. هذا جميل منها تماما، ولقد أثار كلامك عن المعمورة وبترو وفندق مينرفا كل شجونى[١].. ثمة أماكن أحس برهبة خاصة وأنا أتكلم عنها.. ومنها هذه الأماكن على وجه التحديد. هل سنستطيع الذهاب إليها من جديد؟ أرجو أن يكون ذلك قريبا.

---

(١) هذه الأماكن هى الأماكن التى كنا نتردد عليها عقب زواجنا.

صحتى فى تحسن، وأرجو أن تختفى الحساسية قريبا. الزملاء هنا يقرءون الجزء الثانى من كتاب «العلم والحضارة» ويقدمون لى ملاحظات مفيدة، أرجو أن أستفيد منها عند خروجى قبل أن أدفع بالكتاب إلى المطبعة.

ختاما، لك قبلاتى وأشواقى، وأملى أن أراك قريبا.

«كامل»

الزيارة الثانية

خطابها الثانى عشر

القاهرة فى ١٢/ ٩/ ٦٣

عزيزى سعد

أشواقى وقبلاتى الحارة..

لم تكن تمر إلا ساعات على زيارتى[١] لك، وهأنذا أكتب لأبعث لك بأشواقى التى لا حد لها.. لقد رأيتك فعلا وقبلتك وضممتك إلى بالفعل، ولكنى كنت كالذى يخرج من تحت الماء ليلتقط أنفاسه بعد أن كادت تنقطع، ثم يعود تحت الماء مرة أخرى. إن الهواء الذى أستنشقه بزيارتك مفيد، ولكنه لا يلبث أن ينفد وأحتاج إلى الهواء مرة أخرى الذى لا أستطيع أن أعيش بدونه.

وصلت الساعة الواحدة صباحا، وطبعا لم أنم قبل الثالثة صباحا، وقمت مبكرة لأذهب إلى عملى.. وفى الظهر لم أجد وقتا للعودة إلى المنزل، واصلت العمل بعد الظهر ولم أعد إلى البيت قبل العاشرة والنصف مساء، ومع ذلك هأنذا أكتب إليك كما وعدتك، هأنذا أعود لألتقى بك وأركن إلى صدرك وأحس فيه بالراحة والاطمئنان.

أول شىء فعلته أنى أبلغت أختك فتحية تحياتك لها وللجميع.. إننى فى انتظار خطابك لأطمئن على حالة الكبد، والحق أنه بالرغم من تعب الكبد والانفلونزا

---

(١) كانت هذه هى زيارتها الثانية لى، وقد تمت فى ١٠ ـ ٩ ـ ١٩٦٢.

فإن صحتك كانت طيبة، وكان وجهك مشرقا دائما بابتسامتك الحبيبة، وكنت تبدو وكأنك صغرت ست سنوات، إلى حد أنى أرجو ألا يزيد وزنك عن ذلك لأنك تبدو رشيقا جدا. صدقنى، ليس هذا مجرد غزل.. وإنما هو تقرير واقع جميل، وهو ما قلته لإخوتك.

عبدالحليم حافظ يغنى الآن «الشوق غلبنى، الشوق كان حيدوبنى»... وعلى فكرة بعد هذه الكلمات يقول «لولا ضحكتها الحلوة، وعدتنى بحاجات حلوة»، لقد اعتدت أن أقول لمصطفى أخى هذه الفقرة عندما يعود من السفر، وأضيف لها كلمة «من جروبى»، وهذا هو المطلوب منه فقط طبعا.. كفاية وجع دماغ، مش كده؟

تحياتى للجميع وقبلاتى وضماتى.

«عنايات»

خطابى الثالث و العشرون

سجن الواحات فى ١٥/ ٩/ ٦٣

زوجتى الحبيبة:

هأنذا أكتب إليك من الواحات وأهديك قبلاتى الحارة وأشواقى الخالدة، وبعد..

لقد فكرت أن أنتظر حتى يصلنى منك خطاب بعد الزيارة، ولكنى عدت ففضلت الكتابة بعد أن سنحت لى فرصة إرسال خطاب سريع.

ما زلت أعيش فى جو الزيارة الثانية وذكرياتها حتى اليوم.. والحقيقة أنى أحس بنشوة لا حد لها من الرضا والسرور بعد الزيارة، على عكس الزيارة الأولى التى أفزعتنى فيها حالتك الصحية على وجه الخصوص، أما هذه المرة فقد كان سرورى عظيما عندما لاحظت التحسن الواضح فى صحتك وضحكاتك وعلو معنوياتك، لقد عادت من جديد ابتسامتك الجميلة إلى عينيك الأمر الذى افتقدته فى الزيارة الأولى. والحقيقة أن زيارتك يا حبوبة كان لها أجمل الأثر فى نفسى أن الدنيا مازالت بخير، ومازلت أنت كما عهدتك دائما.. الإنسانة ذات القلب الكبير والعقل الراجح التى وقفت إلى جوارى فى أحلك لحظات حياتى.. لم يدعنى الناس هنا حتى قلت لهم كل ما حدث فى الزيارة من حديث وجد وهزل ونكت وشعر ونثر.. إلخ. إن هذا الحديث عنك يسعدنى دائما، والزملاء يقولون إن عينى تمتلآن ببريق كبريق عيون الأطفال وأنا أحدثهم عنك. تمنيت أن تسمعى أنت منهم هذا الحديث اللذيذ.

أسفت لعدم حضور فتحية معك فى الزيارة ولكنى فهمت أنها غير مسئولة عن هذا التخلف، وأنا طبعا مقدر موقفها تماما، أرجو أن تشكريها على المأكولات اللذيذة فقد تمتعنا جميعا بالفطير واللحوم والكنافة... إلخ. وكانت وليمة عظيمة لكل من فى الغرفة.

أرجو أن تمرى على بهاء كما وعدته وأن يكون خطابك مفصلا بعض الشىء فى وصف جو المقابلة. لقد فهمت من خطابات محمد أخى أن ثمة أخبارا سارة فى انتظارنا وإن كنت لم أعرف بالضبط أى تفصيلات. لقد قرأت ببالغ السرور كلمته فى روز اليوسف عن الجامعة. إنها كلمة جريئة.

أرجو أيضا ان تؤكدى لصفية أنى مازلت مصرا على موقفى، ذلك أنى غير مستعد لاستلامك منها وأنت أقل كيلو واحد عن الأيام التى تركتك فيها، ولذلك فعليها أن تعمل ما فى وسعها من أجل تغذيتك، وأن تهتم بذلك مهما كانت الظروف ومهما كان كسلك فى الطعام.

تحياتى وأشواقى لها وقبلاتى لخالد، لقد أعجبتنى صوره تماما، تحياتى وأشواقى أيضا لفيفى، وشكرى لها على اهتمامها بمساعدتك، وأرجو عندما أخرج أن يتاح لى أن أشكرها بنفسى على كل ما صنعته من أجلك وأجلى.

مازلت فى انتظار رأيك عن الجزء الثانى من كتاب «العلم والحضارة» بمجرد انتهائك من قراءته. هناك مقال هام سوف يفيدك فى بحثك فى المعهد وعنوانه: «حول الاشتراكية الأفريقية» للأستاذ بوتيخن"Potckhin" مدير معهد أفريقيا التابع للأكاديمية السوفيتية (مجلة الشئون الدولية عدد يناير ١٩٦٣)، وقد قرأته وأعتقد أنه يفيدك. هناك أيضا كتاب لنفس المؤلف سمعت عنه ولم أقرأه وعنوانه: «أفريقيا تتطلع إلى الأمام» وهو ملىء بالإحصائيات والدراسات عن غانا وغيرها كما يقال. لعل الكتاب يكون مفيدا لك! كذلك هناك مقال ظهر فى عدد ديسمبر ١٩٦٢ من نفس المجلة بعنوان «إلى أين تمضى الدول المستقلة حديثا» وكاتبه ج. ميرسكى، وهو مقال هام ويحسن قراءته بدقة.

ختاما لك قبلاتى الحارة. إننى أفكر دائما فيك يا حبوبة، وأحس بفخر شديد وأنا أضع الدبلة فى يدى بعد أن كنت قد افتقدتها زمنا طويلا.

«كامل»

خطابها الثالث عشر

القاهرة فى ٢٣/ ٩/ ٦٣

عزيزى سعد:

قبلاتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

تأخرت فى الكتابة لك هذا الأسبوع. معذرة على التأخير ولكنى كنت أنتظر استلام خطاباتك من أختك فتحية، وقد استلمت منها خطابين وهأنذا أكتب لك فور قراءتهما. دهشت طبعا لنبأ زيارتها لك فلم أكن على علم بها، والحمد لله أنها رأتك بنفسها واطمأنت عليك.

قابلت أحمد بهاء الدين، وقد دهش عندما علم أنك تعتبر أن هناك بعض الاختلاف السياسى بينكما، سألنى فيم يختلف معى؟.. طبعا أوضحت له كل النقاط التى أثرتها معى فأبدى موافقته التامة عليها، وقال ليس هناك خلاف بينكما على الإطلاق، لا أدرى مدى جدية هذا الكلام ولكنى لم أعرف منه شيئا أكثر من ذلك، لقد بدا وكأنه بعيد جدا عن كل شىء.

أما عن الجزء الثانى من كتابك فأنا حريصة تماما على قراءته فى أقرب وقت، ومعذرة إذا كنت لم أنته منه إلى الآن، فالعمل الجديد يحتاج منى إلى جهد مضاعف، وشكرا على المراجع الأفريقية التى أرسلتها لى.

أخبارنا كلها على ما يرام.. خالد بدأ يسير وحده ويصل إلى غرفتى ويضرب الباب ضربات ضعيفة مترنحة ولكن فيها إصرار، فإذا تأخرت فى فتح الباب

يعبئ كل قدراته الصوتية والعضلية فى إيقاع جميل، فلا أملك إلا أن أقفز وأجرى لأفتح له ذراعى وأضمه وأنا فرحة به.

عمتى تبعث إليك بتحياتها ودعائها وتمنياتها القلبية، وهى طبعا دائمة السؤال عنك وعن صحتك، وقد سرت جدا عندما علمت أنك فى صحة جيدة كما أخبرتها عن آخر زيارة لى. صفية ومصطفى يبعثان أيضا بتمنياتهما دائما، وكذلك فيفى طبعا.

لقد ذهبت مع مجموعة من الأقارب بينهم مصطفى وصفية إلى ملهى ليلى، ورقصنا هناك. هذه أول مرة فى حياتى أجتاز فيها هذه التجربة الغريبة، وقد التقطت لنا بعض الصور التى أرجو أن تعجبك. إنها صور كبيرة وأخشى أن تضيع إذا أرسلتها فى خطاب عادى.

المجموعة التى ذهبت معى كانت كلها شباب وأقارب، وربما أنا الوحيدة التى لا ينطبق عليها هذا الوصف خاصة وأننى أكبرهم سنا! لقد ذهبنا إلى ملهى بالميرا فى شارع فؤاد، وصدقنى أنى مررت مئات المرات فى شارع فؤاد ولم يخطر ببالى وجود مثل هذا المكان، فالباب الذى يطل على الشارع صغير جدا إلى الحد الذى لا يلفت نظرك، إنه يشبه الخندق، فإذا خطوت خطوة واحدة عبر الباب فوجئت بعالم آخر متسع جدا وأنيق جدا، وأيضا مستهتر جدا! ولقد تملكتنى دهشة شديدة عندما دخلت مع أخى مصطفى وزوجته صفية، وأحسست بتعاطف شديد مع رجل الصعيد الجوانى عندما يزور القاهرة لأول مرة! أرجوك لا تضحك على، صدقنى فإننى لا أبالغ. ولقد رقصت مع أخى مصطفى أنواعا مختلفة من الرقصات الجديدة مثل المارينجة والتشاتشا والتويست والباشنجا، وبعضه تعلمته على البيست. تصور أننا عدنا إلى البيت حوالى الرابعة صباحا، وكما تعلم فالشيخ مصطفى متدين جدا، ولذلك فقد إنتظرنا حتى يصلى الفجر حاضرا!

لقد كانت ليلة طريفة وجديدة بالنسبة لى، ولكنى لم أقدر على تكرارها رغم إلحاحهم. صدقنى يا عزيزى أننى لم أحس بأية رغبة فى ذلك، لم يكن هناك أى

سبب سوى أنى أفضل قراءة كتاب حتى الفجر بدلا من الرقص أو مشاهدة الرقص حتى الفجر، ألم أقل لك إنى فقدت الربيع الذى يتمتعون به؟

لك قبلاتى الحارة وتمنياتى.

«عنايات»

خطابى الرابع والعشرون

سجن الواحات فى ٤/ ١٠/ ٦٣

زوجتى الحبيبة:

قبلاتى وأشواقى الحارة، وبعد..

أكتب لك هذا الخطاب على عجل لأن الرسول سيترك الواحات بعد دقائق. وصلنى خطاب من سعاد وفرحت به جدا، قبلاتى الحارة لها وللأولاد وتمنياتى لزوجها. وبالنسبة لموضوع الصور الكبيرة التى التقطت لك فى ملهى بالميرا فإننى أقترح إرسالها مع إحدى الزيارات القادمة إلى الواحات.

لا شك أنك قرأت عن المظاهرة الصحفية العالمية[1] للمؤتمر الصحفى الدولى، التى تمت فى قلب القاهرة ومن أجلنا نحن الصحفيين المعتقلين، وبقدر ما ضايقنا رد الرئيس عبدالناصر بأننا مناهضون للثورة، إلا أننا رقصنا طربا للحدث ذاته وللمؤتمر. إن معنى هذا أن العالم مهتم تماما بقضيتنا وأن زملاء المهنة فى العالم كله لم ينسونا، ومهما عاند رئيس الجمهورية فنحن واثقون تماما أنه سيضطر إلى الإفراج عنا فى النهاية وقريبا. إن ثقتى فى الإفراج عنا خلال الأشهر القليلة المقبلة هى ألف مرة أقوى مما كانت. لقد أرسلنا ردا مطولا إليه وإلى المؤتمر نشرح تاريخنا ونوضح موقفنا فى كافة القضايا السياسية، ونرفض اتهامنا بأننا مناهضون للثورة.

(١) اجتمع المؤتمر الصحفى العالمى فى القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢، وفى لقاء مع عبدالناصر ووجه بأسئلة عديدة عن الصحفيين المصريين المعتقلين.

ختاما أرجو المعذرة لقصر خطابى؛ فالرسول يقف بجانبى ويستعجلنى فى ضرورة إنهائه.

قبلاتى الحارة وأشواقى الخالدة.

«كامل»

خطابى الخامس والعشرون

الواحات فى ١٥/ ١١/ ٦٣

زوجتى الحبيبة

قبلاتى الحارة وأشواقى العارمة أبعثها إليك من هنا، وبعد..

أرسلت لك خطابا منذ أسبوعين وعلمت بعد ذلك أنه ضاع فى الطريق! لقد ضايقنى هذا جدا لأنه خطاب طويل ناقشت فيه معك رأيى فى عدد من المسائل.

لقد قرأت إعلانا فى الأهرام عن الطبعة الإنجليزية لمجلة «نهضة أفريقيا»، وسرتنى كلمة «الأستاذة» المقترنة باسمك فى الإعلان، وتصورتك يا حبوبة بنظارة سميكة وأنت تجلسين كالأستاذة الجادة تعدين المقالات والتوضيب، وآه لو كنت أنا بالخارج! إننى فخور بك تماما.! فخور بعملك فى المجلة والتليفزيون، وأرجو لك من كل قلبى التوفيق والنجاح. إن الخطاب الذى ضاع كان مخصصا لمناسبة ٥ نوفمبر العظيمة، ولقد حزنت حين علمت بضياعه، وقد أرسلت لك برقية تهنئة أردت أن تصلك فى يوم ٥ نوفمبر، وأرجو أن يكون هذا ما حدث.

إننى أحبك بجنون لا أظنك تقدرين حدوده ولذا فهذه المناسبة هى أعز مناسبة فى حياتى، ولقد عشت هذا اليوم هنا معك بخيالى، تصورتك فى غرفة المكتب وفى المطبخ وفى الأنتريه، وأنت بملابس المنزل.. وأنت تستعدين للخروج، وأنت فى المجلة.. إلخ، وبكى قلبى بكاء مرا من أجلك، ولقد عشت فى هذا الجو

النفسى قبل المناسبة بأسابيع، وفى هذا الجو الملىء بالأسى والشجن نظمت قصيدة «العرافة»، وهى قصيدة حزينة بلغ من ضيقى بها أنى مزقتها! وقد عجب محمود من هذه القصيدة وهو يقول: أنت إنسان غريب، تظل معنا شحنة من المرح وتشيع هذا الجو المرح حولك، ومع ذلك تعود إلى نفسك وتنظم الشعر فإذا بحر من الأسى والشجن يتضح!

إن القصيدة تتحدث عن نبوءة عرافة قالت لى كلاما طويلا وأنا فتى يافع، ولقد تتبعت تطور هذه النبوءة من أحداث حياتى حتى موت أمى، ووقفت طويلا أبكى على موتها وأصف جنازتها! لماذا كتبت هذا؟ لا أدرى، وإنما أدرى أنى أحسست بالراحة بعد كتابتها، ثم لم يدم هذا الإحساس حتى تطور إلى إحساس بالضيق منها وكان أن مزقتها! قال لى صديق بعد سماعها: إن هذه القصيدة تعبر عن فقدان الحنان والعطف، ولعله على صواب فى وجهة نظره.

صحتى طيبة، والأخبار التى تصلنا سارة تؤكد توقع الإفراج عنا قبل أول يناير، وهم يفسرون تأخر حركة الإفراج بالانتظار إلى حين انتهاء انتخابات مجلس الأمة، ويقال إن العجلة ستدور من جديد بعد ١٥ نوفمبر.

لقد وصلتنى خطابات عديدة من بريطانيا، وكلها تثلج صدرى لأنها تشعرنى بمساع عديد من الشخصيات الإنجليزية التقدمية للإفراج عنى، وفى مقدمتهم الفيلسوف برتراند راسل الذى قيل لى إنه على اتصال شخصى بالرئيس عبدالناصر من أجل الإفراج عنى، كذلك أرسلت لى من بريطانيا طرود كتب علمية ورفضت الإدارة تسليمها لى!

منذ أيام وصل خطاب من مدير مصلحة السجون يطلب توقيع الكشف الطبى على بسرعة بناء على طلب وزارة الداخلية، وكتب فى أعلى الخطاب: «عاجل جدا جدا»، ولست أفهم ما السبب فى كل هذا، وإن كنت أرجح أن هذا يتم بناء على طلب مكتب الرئيس نتيجة ما يصله من الخارج من رسائل.

إننى أقيم مع محمود فى غرفة واحدة، وفى هذا عزاء كبير لى بعد سفر فايق. سعدت بأنباء اهتمامك بإعداد طبق «الترايفل»، لقد ذقته فى بريطانيا كثيرا، وهو

يصنع من عديد من الفواكه لا من الكمثرى وحدها كما تصنعينه فى منزل أخيك مصطفى.

تمنياتى لعمتك ومصطفى وضنية، وقبلاتى لخالد، وأشواقى لإخوتى.

«كامل»

خطابها الرابع عشر

القاهرة فى ٨/ ١١/ ١٩٦٣

عزيزى سعد:

قبلاتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

أرسلت لك خطابا فى ذكرى زواجنا ٥ نوفمبر أرجو أن يكون قد وصلك. لقد وصلنى تلغراف منك بهذه المناسبة وكان مفاجأة سارة لى حقا أنْ التلغراف قد ذكر الكثيرين بهذا اليوم، مما دفعهم أن يقولوا لى «كل سنة وأنت طيبة» بعد فوات الأوان، الوحيدة التى تذكرت هذا اليوم هى فيفى، اشترت لى من مصروفها المحدود علبة بتى فور، هكذا ترهق ميزانيتها كل عام بعيدين: ٥ نوفمبر وأول يناير! كم من المرات رجوتها أن تكتفى بالتحية الشفوية، وأكدت لها أن هذا يكفينى جدا، ولكن لا فائدة. هل تعرف أنها هى التى تهتم بكل شئونى اليومية؟ فهى مثلا تصر على أن تعد لى الغداء بنفسها، وعندما أعود فى المساء من المجلة مرهقة تصحو من نومها وتجرى تعد لى العشاء، وتجلس بجانبى تخفف عنى قليلا وهى نصف نائمة! لا أعتقد أنى أستحق كل هذا، ولكن لا شك أن وجود هذا القلب الصغير بجانبى يخفف عنى الكثير.

اعتماد أرسلت تخبرنى بقرب عودتها إلى مصر بعد جولتها فى باريس وأوربا.. ستعود لتجد كل شىء كما هو.. وستسألنى سؤالها التقليدى: هل من جديد؟ فأجيب أنا إجابتى التقليدية: لا جديد! لابد أن يصحب كل ذلك تنهيدة كبيرة ولكن بدون نفاد صبر وبدون انهيار.. إن السنوات تمر، فلتمر كما تشاء فنحن لا نخضع إلا لما هو خارج عن إرادتنا.

أسمع الآن أغنية «االقلب معاك.. لو حتى تروح آخر الدنيا»، ترى هل تسمعون الراديو؟ إننى نادرا ما أسمعه بالمنزل ولكنى ألتقط الكثير من الأغانى الجميلة وأنا فى الشارع أو فى الأتوبيس، من خلال الترانزستور أو من الجيران كما هو حادث الآن.

تحياتى لكم جميعا، ولك كل تمنياتى، وكل سنة وأنت طيب.

«عنايات»

خطابى السادس والعشرون

سجن الواحات فى ١٤/ ١٢/ ١٩٦٣

زوجتى الحبيبة:

هأنذا أرسل لك يا أعز إنسانة قبلاتى وأشواقى الحارة من هنا .. لقد وصلنى خطابك الذى تتحدثين فيه عن أغانى فيروز، كما وصلنى طرد فتحية وبه مأكولات الإفطار والأسبرين والفيتامينات. ولقد أرسلت لها مع السيدة التى أحضرت الطرد بعض نماذج الخطابات التى تصلنى من خارج مصر، من بريطانيا والدانمرك والسويد، أرجو أن تحتفظى بها كذكرى جميلة للمستقبل!

إن كل الأنباء التى تصلنا من جميع المصادر تؤكد أن الإفراج عنا سياسة مقررة، وإن كان التلكؤ مرده الرغبة فيما يبدو فى ألا نحضر المعركة الانتخابية نظرا لدورنا المتوقع فيها.

لقد دعيت إلى الإدارة بالأمس مساء، وأخبرت أن الحرس قد جاء لنقلى إلى مستشفى أسيوط بناء على تقرير الطبيب الذى أكد أننى أشكو من حصوة فى الكلى والتهاب مزمن فى اللوزتين.

وقد رفضت العلاج فى أسيوط وكتبت إقرارا بذلك قلت فيه: إما العلاج فى مستشفى قصر العينى فى القاهرة أو لا علاج على الإطلاق.

لقد فكرت أن أكتب لك فى هذا الخطاب وصفا لحياتى فى يوم كامل، لعل هذا يعطيك فكرة عن حياتنا.. استيقظت اليوم صباحا وحلقت ذقنى ثم تناولت

الإفطار: جبنة سجن من النوع السيئ، وقطعة مربى برتقال، وشربت شيئا من الكاكاو (المربى والكاكاو من زيارات الأهالى طبعا)، ثم انطلقت إلى مراجعة كتاب «العمل والمخ» مع الصديق الذى قام بترجمته، إنه كتاب ممتاز يتعرض لنظرية بافلوف بالتفصيل، ويدرس المخ دراسة وافية. وبعد ساعتين من العمل استمعت إلى محاضرة عن اقتصاديات مصر للزميل عادل حسين، وهى جهد طيب وإن كنت اختلف عنه فى رأيه عن القطاع الزراعى فى مصر. وحان موعد الغداء: فتة عدس وقطعة مربى وكوب شاى. وقد نمت ساعة بعد الغداء ثم قمت لقراءة كتاب «النواة الذرية» فى علم الطبيعة، وتمتعت بالشمس فى الفناء بعض الوقت.. فى الساعة الخامسة أغلقت علينا العنابر، فمواعيد قفل العنابر فى الشتاء مبكرة، وحان موعد العشاء داخل العنبر: باذنجان مر المذاق، وقطعة لحم صغيرة جدا، وشىء من الأرز، كما أكلنا بعضا من البرتقال الذى يباع فى الكانتين: وبعد العشاء لعبت دور شطرنج مع الصديق فوزى حبش، استغرق الدور حوالى ساعة ونصفا، وهأنذا أكتب لك هذا الخطاب ونحن نستعد لسماع أم كلثوم، وفى العادة أنام مبكرا لقسوة البرد، ولكنى هذا المساء أسهر لسماع أم كلثوم.. الوصلة الأولى فقط لأن الراديو يقفل بعد ذلك!

هذا هو برنامج اليوم.. ليس فيه الكثير كما ترين، ولكن هذا هو الممكن. سرتنى أخبار عملك فى مجلة «نهضة أفريقيا» وأرجو أن ترسلى لى بعض أعداد المجلة فإننى فى غاية الشوق إلى قراءة مقالاتك فيها. لقد هزنى خطاب فتحية الأخير بسذاجته وإخلاصه، وهزنى على وجه الخصوص توقيعها «أختك المخلصة لك إلى الأبد»، مما دفعنى إلى كتابة موال موجه إليها بدأته كما يلى:

بكانى مكتوبك المكتوب بدمع العين

ياللى شتلتى فى أرض الغربة إخلاصك

وعتلتى من همى على كتفك وفوق راسك

أنا أمى داعيالى....

أنا أمى داعيالى فى ليلة إنشق فيها الباب

وقالت لى روح يا فقير إلا من الأحباب

يغنيك بعقلك وقلبك ربك الوهاب

ويحط إيدك على إيدى مع عيالى.

والموال طويل لا يمكن كتابته كله هنا، وأعتقد أننى بدأت أقتنع بضرورة كتابة كل هذه القصائد والمواويل والاحتفاظ بها للذكرى لا للنشر طبعا، بما فى ذلك موالى الأخير عنك.

أشواقى وتحياتى إلى فيفى، لقد بدأت أشعر بالغيرة منها! ولم لا؟ أليس لها الحق فى أن تصحو بالليل وتعد لك عشاءك وتجلس إلى جانبك وتلمس أصابعها يديك وشعرك؟ ما أسعدها يا حبوبة وكم تمنيت أن أكون مكانها!

سؤال أخير: ما رأيك فى زيارة على عيد ميلادك أول يناير؟ فكرى فالظروف مواتية ومأمور السجن فى أجازة ولن يعود قبل ٥ يناير!

لك أحر قبلاتى بهذه المناسبة السعيدة وأجمل التمنيات.

«كامل»

خطابها الخامس عشر

القاهرة فى ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٣

أخى العزيز :

قبلاتى وأشواقى الحارة إليك، وبعد..

وصلنى خطابك المرسل مع نبيل، كما وصلنى الخطاب الذى به فقرات من الموال، كان بودى أن أرى الموال كله، كتبت لفتحية الجزء الخاص بها وأغرورقت عيناها بالدموع تأثرا.. أما عن التلغراف فقد وصل بالفعل يوم ٥ نوفمبر وقد استطعنا اليوم التالى أن نمر بالتاكسى على المنزل الذى تزوجنا فيه، ودار الشريط كله سريعا مع كل صغيرة فيه وكأنه شريط بانورامى، عشت معه لحظات أحسست خلالها أنى عدت خمس سنوات إلى الوراء.. عدت إلى الأربعة والعشرين ربيعا، عدت إلى الحياة والحنان والحب، عدت إلى الزهور التى كنت تشتريها لى والإشراق والابتسام.. عدت لحظات إلى حلم مضى وذكرى حنونة هى كل ما أملك الآن!

صدقنى يا عزيزى أنى لم أدهش لقصيدة «العرافة» التى حدثتنى عنها فى خطاب سابق، فأنا أعرف تماما كل خلجات نفسك وأعرف أعمق أعماقها، فكم من مرات غصت فيها وعشت فيها أنقب وأكتشف حتى وجدت كنوزا هى كل نفسك، إننى فى شوق لقراءة القصيدة.

لم يبق على العام الجديد سوى أيام.. كل سنة وأنت طيب يا عزيزى، وكل سنة وأنتم جميعا وبلادنا فى عزة وتقدم. هاهو عيد ميلادى السادس يمر وأنت مازلت

وراء الأسوار، للمرة السادسة أستقبل العام الجديد وحدى، وحدى تماما. فلابد أن تعود بى الذاكرة إلى خمس سنوات مضت إلى ذلك اليوم التاريخى، وكيف استقبلنا به العام الجديد! ولكن عزائى هو أملى فى أن تكون إلى جانب منى فى عيد ميلادها. أرجو أن تستطيع أن تقدم لها أنت بنفسك هديتها هذه المرة.

أخبارى كلها على ما يرام، وكل شىء مازال كما هو.. مجلة «نهضة أفريقيا» اقترب موعد صدورها ولذلك فالضغط زاد، وأعتقد أنك ستراها بنفسك قريبا عندما تكون بيننا، وأرجو أن تكون أفضل من العدد الأول والثانى من ناحية الشكل والإخراج. سوف يصدر فى العدد الجديد مقال كبير لكاتب روسى من كبار علماء الأجناس، وهو دراسة لتاريخ أفريقيا فى ضوء النقوش والفنون الشعبية التى اكتشفت، ونحن نعتبر نشر هذا المقال فى مجلتنا سبقا هاما فى الميدان العلمى والصحفى، أما أنا فأعد مقالا عن كينيا وكينياتا.. ذلك العجوز الذى بلغ الثالثة والسبعين من عمره ويصر على أنه لا يوجد شىء يستطيع أن يفعله من فى سن الأربعين ويعجز هو عنه! إنه لا يستطيع أن يتذكر عدد أولاده ولكنه لحسن الحظ يتذكر عدد زوجاته، أربعا فقط!

سميحة تقدم فى التليفزيون برنامجا اسمه «قصة قصيرة»، وقد طلبت منى أن أعد ضمن البرنامج قصة قصيرة لجوركى قد انتهيت بالفعل من إعدادها منذ يومين، والقصة بعنوان «كوليوشا» وتدور حول أم تشقى لتحصل على قروش قليلة لكى تطعم ابنها وأباه الذى خرج من السجن مريضا. كانت حياتهم قاسية جدا، كانت أسوأ من الموت كما تقول، حاولت مرارا أن تنتحر لتتخلص من هذه التعاسة، وفى أحد الأيام ضاق بها الحال إلى حد اليأس فصرخت فيهما: «كيف أستمر فى إطعام اثنين؟ ألا يمكن أن يموت أحدكما لأستريح؟» كانت لحظات غضب سرعان ما ندمت عليها، ولكن كوليوشا الصغير الذى لم يزد عمره عن الثانية عشرة نظر إليها فى صمت وخرج، وبعد ساعة جاء من يخبرها أنه فى المستشفى لأن جياد أحد التجار داست عليه. اندفعت الأم إلى حيث يرقد ابنها، سألته إن كان لم ير الجياد وهو يعبر الطريق، فأجابها ببساطة ووضوح: «لقد رأيتها يا أمى ولكنى لم أبتعد عن طريقها؛ لأنى فكرت أنها لو مرت فوقى فسوف يعطينى الناس نقودا».

ثم مات الطفل وهو يردد: «اشتر لأبى كذا وكذا.. واشتر شيئا لك أيضا».

نسيت أن أذكر لك أننى شاهدت الفرقة القومية للفنون الشعبية منذ أسبوعين، الحقيقة أنها جهد مشرف، وقد قدمت الفرقة عدة لوحات بلغت القمة فى لوحة تسمى «بورسعيد»، إن التشكيلات التى تحركت فى هذه اللوحة أكثر من رائعة، لقد عرف المخرج كيف يحرك الجماهير.. نعم الجماهير، الفلاح والفلاحة والعامل والفتاة والمرأة والأطفال، لقد فهم المخرج وانفعل بكل أحداث بورسعيد وقدمها لنا فى لوحة نابضة بالحياة والحركة تماما.

وأخيرا نشر الشاعر صلاح عبدالصبور قصيدة جديدة بعنوان: «أغلى من العيون» (تستطيع أن تخمن لمن كتب هذه القصيدة)[1]:

يغسلنى حنانك الرقيق مثلما

تغتسل السماء بالغمائم

مثلما تهتز للربيع شجرة

يسقط ورقى القديم

حزنى العقيم، حزنى العقيم

يصافح الحياة وجهى الذى نضرته ببسمتك..

ما رأيك فى القصيدة كلها إن كنت قد قرأتها؟

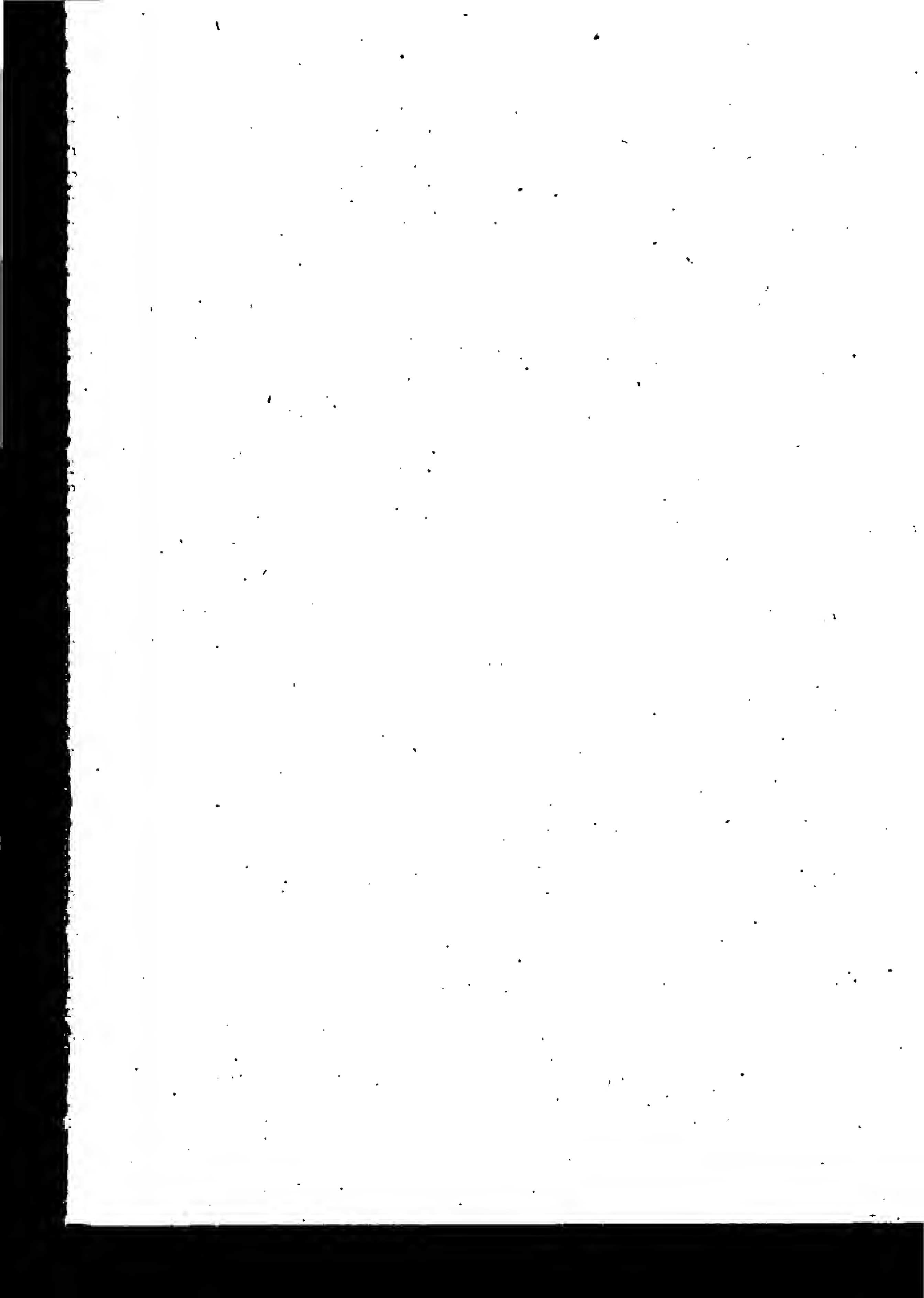
عمتى بخير وتبعث لك تمنياتها القلبية، اعتماد مازالت بالإسكندرية تدبر أمر نقلها، خالد يكبر ويبدو ألطف وأظرف، أصبح يغمز بعينيه بطريقة تجعلك تنفجر من الضحك، إنها براءة الطفولة بكل جمالها وعذوبتها ورقتها، فيفى طبعاً تبعث لك بتمنيات حارة وهى مازالت كما هى تهتم بكل شىء يتعلق بى.. حتى الزهور تحرص على أن تقدمها لى من حين لآخر.

---

(١) السيدة سميحة غالب وقد تزوجت الشاعر صلاح عبدالصبور فى أغسطس ١٩٦٤.

لابد أن أختم خطابى الذى طال أكثر مما ينبغى، قبلة حارة على مقدم العام الجديد مشبعة بالأمل فى أن تكون معنا قريبا.

«عنايات»



الفصل الخامس

عشية الإفراج!

خطابى السابع والعشرون

سجن الواحات فى ١٩٦٤/١/١١

زوجتى الحبيبة:

هأنذا أرسل لك قبلاتى المليئة بالحب والإجلال والإعزاز.

مضى أسبوع على لقائنا الثالث فى الواحات[1]، ولم يصلنى منك شىء منذ عودتك. لا شك أنك كتبت فى الموعد كما اتفقنا، ولا شك أن البريد هو المسئول عن التأخير.

ما زلت طبعًا أعيش فى جو الزيارة وسعادة اللقاء.. لا أعتقد أن ثمة كلمات عندى تستطيع أن تعبر عن فرحتى، فرغم السدود والقيود والمصاعب استطعنا أن نحطم كل هذا وأن نحتفل بعيد ميلادك سويًا. ولا يصنع هذا غير الحب.. الحب القاهر الجليل الذى صمد للمحنة خمس سنوات. منذ أكثر من خمس سنوات عندما كنا على وشك الزواج كلمنى كثيرون (وبعضهم معنا هنا) محاولين إثنائى عن هذا الزواج، وكانوا يقولون أحيانًا إن هذا الزواج ليس إلا نزوة لا تلبث أن تزول بعد شهور، وإنك لن تصمدى فى أى محنة تنتظرنى فى المستقبل! قال لى أحدهم يومًا: «انت عايز واحدة تشيلك وقت المحنة، وستكون أمامك محنة قريبة، ولا أعتقد أن عايدة قادرة على ذلك»، ثم تأتى المحنة والأيام السوداء فإذا بها

(١) تمت زيارتها الثالثة لى فى الواحات فى ٤ يناير ١٩٦٤.

تؤكد إيمانى بك وثقتى فى صفاتك الكبيرة، وإذا كل الناس ينحنون إعجابًا وتقديرًا.. أعتقد أن ما قاله لك محمود فى الزيارة يعبر عن إحساس الكثيرين إزاءك! لقد دخلت زوجات عديدات هذا الاختبار الدقيق ولم يصمد إلا نصفهن، وكنت أنت واحدة من هؤلاء!

فى يوم الزيارة أحسست فى المساء برعشة خفيفة وارتفاع بسيط فى درجة الحرارة، وقال لى الطبيب (وهو زميلى فى الحجرة): «لا شك أن سبب هذا هو الانفعال الشديد والأيام الثلاثة التى لم تنم فيها كما يجب انتظارًا للزيارة». كانت الساعة الثامنة مساء وغطانى بعدد من البطاطين، وأعطانى قرص أسبرين وفيتامين «ج» وصنع لى كوب شاى، وقال: «نم فورًا وستكون فى خير حال غدًا». ولكنى لم أنم، رفضت أن أنام قبل أن يأتى موعد لقائنا فى العاشرة تمامًا بالضبط على دقات ساعة جامعة القاهرة التى أسمعها فى الراديو. ولم أستطع طبعًا أن أشرح له لماذا رفضت النوم مع أنه كان يداعب جفونى بشكل واضح.

فى كل يوم أنتظر هذا الموعد فى لهفة غريبة، وأستعد له وكأننا سنلتقى حقًا يدًا بيد وفما بفم، وأتذكر مواعيد لقاءاتنا الأربعة وكل مكان ذهبنا إليه فى الماضى، وماذا قلت لك وماذا كنت تقولين لى - ستعود هذه الأيام من جديد ياحبوبة! أليس كذلك؟

أقرأ هذه الأيام فى الفلسفة، معى دائرة معارف فلسفة جديدة (بريطانية) أقرأ فيها بفهم وخصوصًا الأجزاء الخاصة بالمنطق.

شكرى لصفية على الأكل الجميل، وتحياتى لفيفى، ولك حبى الدائم.

«كامل»

خطابها السادس عشر

القاهرة فى ١٧/ ١ /١٩٦٤

أخى العزيز:

قبلاتى وأشواقى الحارة إليك؛ وبعد..

هأنذا ألتقى بك فى موعدنا الأسبوعى، وهأنذا لا أكاد أصدق أنه قد مضى أسبوعان على لقائنا!

لقد نسيت أن أحدثك عن عيد ميلادى الذى أصرت صفية على إقامته فى اليوم الذى سبق سفرى إليك، وعن الهدايا التى وصلتنى بهذه المناسبة، عفاف (١٢ سنة) قدمت لى لفة أنيقة ظللت أفتح فيها فترة حتى وجدت فى النهاية عدد ٢ باكو بسكويت إيكا! لقد عددت الورق الذى استخدمته فوجدت ١٥ ورقة. ومنذ هذا اليوم أطلقنا عليها عفاف إيكا! لقد ضحكنا كثيراً لهذه المحاولة اللطيفة الساذجة للمساهمة فى عيد الميلاد.. فيفى قدمت لى بتى فور، ومديحة علبة ملبس نادلر كان طبعاً نصيب خالد، هدية صفية كانت على مستوى أعلى.. روب دى شامبر على الموضة وغالى الثمن. تانت عنايات أغرقتنى بمجموعة كبيرة من ملابس المنزل! واعتماد قدمت لى بارفان ماجريف حجم كبير. أما نبيل أخى فقد تأثرت جداً لا لما أحضره من زهور وزنابق فحسب، وإنما لأنه حضر فى الصباح الباكر ليكون أول من يقول لى «كل سنة وانت طيبة» رغم أن امتحانه فى نهائى طب كان اليوم التالى. حتى منير وزوجته مرا على المنزل وأنا فى الخارج وتركا لى

هدية لطيفة هى شال صوف أبيض مطرز باللون الأزرق الجميل. أما عمتى فقد صنعت لى بيديها تايير كامل كروشيه، وهو والحق أكثر من جميل.

المهم أن الجميع كانوا قريبين منى فى ذلك اليوم، وقد أنسانى هذا كل شىء رغم أنى كنت مرهقة بالعمل كما كنت أستعد للسفر إليك.

أفتكر كفاية كده رغى! تحياتى لكم جميعًا ولك أشواقى وتمنياتى.

«عنايات»

خطابى الثامن والعشرون

سجن الواحات فى ١٩٦٤/٢/٨

زوجتى الحبيبة:

أشواقى وقبلاتى الحارة. هذا هو خطابى الخامس منذ الزيارة الثالثة وفى كل خطاب ألح عليك فى الحضور لزيارتى فى العيد. مازلت أتذكر تشبيهك الجميل بعد عودتك من أول زيارة عن الإنسان الذى يسبح تحت الماء اضطرارا ثم يرفع وجهه فوق الماء من حين لآخر ليتنفس. وإذا كان هذا يصدق عليك فإنه يصدق على أيضًا!

سهرت مع أم كلثوم أمس حتى الرابعة صباحًا وعشنا ليلة غريبة على إنسان مثلى يذهب إلى النوم مبكرًا فى الشتاء. لا شك أن أغنية عبد الوهاب الجديدة كانت موضوع تعليقاتنا طول الليل، والحقيقة أننى أحسست أننا أمام أربع أغان لا أغنية واحدة. وعبد الوهاب يستعرض فيها إمكانياته الفنية وقدراته على تطويع صوت أم كلثوم. المقدمة الموسيقية مثلاً جميلة ولكنى أتساءل: ما علاقتها بالأغنية! وكذلك الجزء الرابع من الأغنية الذى يبدأ «يا أغلى من أيامي ويا أحلى من أحلامى».. هنا أنغام شعبية أصيلة التقطها عبد الوهاب من جو الموالد والإنشاد الدينى والزار وحفلات الذكر والمسحراتى.. إلخ. ولكن هل صحيح أن هذه النغمات ملائمة لهذه الكلمات؟

إننا أمام أغنية لها كلمات جميلة، وعدة أنغام كل منها جميل، ولكن هذا الخليط لا يمثل وحدة نغم وأغنية، وليس ثمة تطابق وتقارب بين جو كلمات

الأغنية وجو الأنغام! طبعًا كثيرون هنا يختلفون معى ويقولون إن الفلسفة هى أنت، أما هم فقد طربوا وسعدوا، وطبعًا أنا طربت أيضًا ولكن لا شىء بعد الطرب والنشوة المؤقتة، لا غذاء روحى يستمده الإنسان من هذه الألحان!

بجوارى الآن ديوان الشاعر العراقى «ناجى هلال» وقد كدت أن أنتهى من قراءته. معظم قصائده الرائعة كتبها فى السجن، وقد أحسست أنه اعتصر من دمه فى هذه القصائد. لقد هزتنى قصيدته «بطاقة عيد إلى أختى» وهى قصيدة كتبها فى العيد من السجن يتحدث فيها عن أولاده وزجته البعيدين عنه وهو فى المنفى.. هزتنى تمامًا فهى تنكأ جراحًا كثيرة فى هذه المناسبة، تمتاز ببساطتها التى تصل إلى حد السذاجة، ومع ذلك فما أجملها وأرقها! لولا أنها طويلة لكتبتها لك هنا.

لعلك اطلعت على خطابى المرسل للدكتور حسين فوزى الخاص بأفلاطون، ولقد قرأت أخيرًا مقالاً لمحمد أخى ولى عليه ملاحظة أساسية.. لقد كان من واجبه فضح حزب مابام الإسرائيلى باعتباره حزبًا يدعى اليسارية بينما مواقفه العملية غير ذلك.. لقد صوت فى الكنيست مع العدوان على مصر سنة ١٩٥٦، كما صوت مع القروض الأمريكية، وله عديد من المواقف السياسية المخزية، فكيف ينظر إليه بعد ذلك كحزب اشتراكى؟

نبهنى أيضًا بعض الأصدقاء إلى مقال فى مجلة «المجلة» عدد أبريل سنة ١٩٦٢، دارت فيه مناقشة حول ما كتبته عن نجيب محفوظ بالذات وعن الرواية عمومًا منذ سنين طويلة فى كتابى «فى الثقافة المصرية الحديثة»، وعندما اطلعت على عدد المجلة ضحكت وساورنى إحساس غريب.. هؤلاء الناس يتكلمون عنى وكأنهم يتكلمون عن رجل مات! وهم يتجادلون حول ما عنيته بهذه الفقرة أو تلك وأنا جالس هنا لا أستطيع أن أقول ماذا كنت أعنى بالضبط! لقد ساورنى نفس الإحساس وأنا فى سجن أسيوط منذ عامين عندما قرأت مقالاً لأحد كُتاب الأهرام فإذا بى أجد أنه قد نقل ثلثه بالنص من كتابى.. كتبت عندئذ لبعض الأصدقاء فى الأهرام ورجوتهم أن يطلعوا «بنت الشاطئ» على المهزلة التى تجرى فى صفحتها الأدبية دون علمها.

أما بالنسبة لأمانيك الثلاث فأرجو أن تثقى يا حبوبة أنى لا أنساها.. صحتى على ما يرام، وأنا أشتغل فى كتبى بجد وما زالت الابتسامة التى تحبينها على شفتى، قد تكون ابتسامة بها لمحة من الأسى غير أنها ابتسامة على كل حال! وأنت يا حبيبتى تساعديننى، بموقفك الشجاع وابتسامتك الجميلة ووفائك الذى لا يحد، على الاحتفاظ بهذه الابتسامة.

ما زلت متعلقًا بأمل زيارتك فى العيد.. تمنياتى لعفتك واعتماد ونبيل وصفية ومصطفى وخالتك عنايات وسميحة، وتحياتى إلى فيفى. لقد تأثرت جدًا بقائمة الهدايا التى وصلتك بمناسبة عيد ميلادك منهم، وتأثرت على وجه الخصوص من موقف نبيل والأطفال! من الواضح أن الدنيا بخير وأنك كعهدى بك محط قلوب الناس وأبصارهم.

لك أحر قبلاتى إلى أن نلتقى.. فى العيد!

«كامل»

خطابها السابع عشر

القاهرة فى ١٩٦٤/٢/٨

أخى العزيز:

أكتب لك هذا الخطاب بسرعة، فقد قررت اليوم أن أسافر إليك فى العيد، سوف نكون معكم اليوم الثانى من العيد.

طبعًا لا داعى للإطالة فى هذا الخطاب، فكل ما يمكن أن يُقال سوف أقوله بنفسى عند وصولى. أرجو أن يصلك هذا الخطاب قبل وصولنا حتى تستعد للاستقبال وتجرى اللازم، فتمتنع عن الأكل يومين أو ثلاثة استعدادًا للوليمة القادمة، وتمتنع عن محادثة أى شخص يومين قبل الزيارة حتى لا تنسى ما تريد أن تقوله لى وتظل تحفظ فيه عن ظهر قلب، وحذار أن تتقلب على الجانب الأيمن أو الأيسر ليلة الزيارة حتى لا تنسى كل ما حفظته!

تحياتى لكم جميعًا، ولك كل تمنياتى.

«عنايات»

خطابى التاسع والعشرون

سجن الواحات فى ١٧/ ٢ /١٩٦٤

زوجتى الحبيبة:

لم يمض يومان على لقائنا الرابع[1] فى الواحات. ومع ذلك أجلس فى المساء لأكتب لك.. لقد كانت نيتى أن أنتظر وصول خطاب منك بعد الزيارة، ولكنى لم أستطع ذلك. ثمة قدر أقوى منى يدفعنى إلى الكتابة وإن كنت لا أعرف بالضبط ماذا أريد أن أقول! فلا زلت فى جو الزيارة وقد فشلت كل جهودى للخروج من جو الزيارة، فلا الكتب أفادت ولا المجلات! يكفى أن أبدأ القراءة حتى أحس بملل غريب وألقى الكتاب جانبًا! أحس أحيانًا أن الزيارة هى بمثابة حجر يلقى فى بركة حياتى، ثم تهدأ الأمواج وتعود البركة إلى حياتها الآسنة من جديد. إننى أكره هذه الحياة الراكدة ولا أطيقها، ومع ذلك يبدو من الضرورى أن نتحملها فى صبر وشجاعة.

والآن ماذا كنت أريد أن أقول لك؟ ربما أريد أن أقول إنك كنت رائعة الجمال يا حبوبة بلا مبالغة أو رتوش. كم كانت عيناك جميلتين وعميقتين، وكم كانت ابتسامتك مشرقة، وشعرك مرسلاً بطريقة جمع بين البساطة والجمال، وكم كانت ملابسك أنيقة! كل من رآك شهد بحس ذوقك.. وحسدونى!

(١) تمت الزيارة الرابعة والأخيرة فى ١٠ فبراير ١٩٦٤.

لقد سرتنى الصورة التى أحضرتها معك، وهى فى رأيى أجمل من أى صورة أخرى لك. فى هذه الصورة أجد روحك التى افتقدتها فى الصور الأخرى، أجد لحظة خاطفة من لحظات التعبير التى استطاع المصور أن يمسك بها فى مهارة.. لحظة يعبر فيها وجهك عن الطفولة والذكاء واليقظة ثم مسحة خفيفة من الحزن والأسى تكمن فى أعماق شخصيتك! لم أجد فى صورة أخرى هذا القدر من التعبير الذى وجدته فى هذه الصورة. ولذا سارعت بوضعها إلى جانبى وساهم أحد الزملاء فصنع لها بروازًا جميلاً من علب السجاير. وقد ألصقت البرواز على الحائط بجوار السرير. إنها أمامى الآن وأنا أكتب.. وعندما أستيقظ من نومى فى الصباح تكون صورتك هى أول ما أراه، وعندما أنام فى الليل تكون صورتك هى آخر ما أرى.

بالأمس جلست وحدى وأحسست برغبة فى أن أكتب لك قصيدة جديدة. وطى هذا الخطاب، أرسل لك قصيدتى «الطائر الحزين» أرجو أن أسمع رأيك فيها. لقد قرأها حتى الآن عشرة وأبدوا رضاءهم عنها، وتطوع أحد الزملاء من الفنانين لإخراجها على صورة جميلة.

لقد قرأت اليومين الأخيرين بعض المجلات التى وصلتنى (الكاتب والمسرح خصوصًا) والحقيقة أنها أفزعتنى، وأحسست بمدى المسئولية الملقاة على أكتافنا عندما نخرج إلى الحرية من الناحية الفكرية. إن مقالات رشاد رشدى فى مجلة «هى» من أسوأ ما قرأ الإنسان فى السنين الأخيرة عن مشكلة الفن، وهذا الدفاع البشع عن مسرح وأدب اللامعقول أمر محزن تمامًا. فالغريب أن المجلة تحوى عددًا من الأبحاث الممتازة الجديرة بالتقدير باستثناء مقالات رئيس التحرير التى هى دعوة صريحة إلى عزل الفن والمسرح.. على أن الأسوأ من مقالات رشاد رشدى فى مجلة المسرح هو مقالات أحمد عباس صالح ومحمد عودة فى مجلة الكاتب. إن هذا الإلحاح فى الهجوم على الماركسية كنظرية وعلى الماركسيين المصريين ـ ولا سيما مقال عودة العدد الثانى ـ يدعونا إلى التساؤل: لمصلحة من يتم هذا الهجوم؟ ماذا يستطيع أن يقدم الكاتبان بدلاً من الماركسية؟ ما معنى هذا

الحديث المضحك عن «البحث عن نظرية جديدة» كما يحلو للأخ عودة؟ يبدو أن هذه المجلة قد صدرت لتحاول إثبات أنه لا ضرورة للماركسيين المصريين ولا ضرورة للالتزام بالماركسية كمنهج علمى.. ولقد أدى هذا بالكاتبين الفاضلين فى التورط فى تغذية حملة «معاداة الشيوعية» فكريًا باسم التجديد والالتصاق بواقع بلادنا.. إلخ.

ختامًا لك قبلاتى الحارة يا حبوبة، إن أنباءنا سارة فقد تأكدنا أن كل من كانوا فى السجن الحربى (عددهم ٢٩) قد أفرج عنهم ليلة العيد! هكذا تتحرك الأمور ويزداد الأمل فى لقاء قريب.

«كامل»

خطابها الثامن عشر

القاهرة فى ١٩٦٤/٢/٢٨

أخى العزيز:

قبلاتى الحارة وأشواقى إليك.

هأنذا أكتب لك خطابى الثالث منذ الزيارة، وقد وصلنى منك خطابان، بأحدهما قصيدة «الطائر الحزين». لقد أعجبتنى القصيدة جدًا جدًا .. فيها صور شعرية فى منتهى الرقة والعذوبة، إننى أكاد أحفظها الآن عن ظهر قلب من كثرة قراءتها. قرأتها لسميحة وتأثرت جدًا للرقة التى تفيض بها كلماتك.. الحنان والسمو واللهفة والحب والأسى والوحدة و.. كل هذه المشاعر الإنسانية النبيلة تعتصرنا ونحن نقرأ كلماتك. أقول لك الحق إن هذه القصيدة اعتصرتنى وجعلتنى أعيش لحظات من الألم المقدس أو الأسى الذى يصاحبه نوع من القدسية التى ترتفع إلى القمم. قد تكون هذه الكلمات منى غريبة عليك، وربما هى أيضًا غريبة على؛ ولكن هذا هو واقع إحساسى الذى يجب أن أعبر عنه. لقد ارتفعت بنا فوق قمم لا يسعنا إلا أن ننحنى تقديسًا لجلالها. إن آلام «الطائر الحزين» أشبه بآلام المسيح الذى ضحى بنفسه من أجل أن تستمر رسالته.

ولكن يا عزيزى، كنت أتمنى عبارة غير «وأحصد الأشواك بالنهار والهموم» فهى لا تتفق أبدًا مع واقعك. قد تعبر عن جانب من الحقيقة ولكنه جانب منزو تمامًا تلتقطه أحاسيسك وترفضه إيجابيتك، تمامًا كالقائد فى ميدان المعركة.

أشكرك جداً على المديح والإطراء الذى غمرتنى به فى خطابك، وأرجو أن أظل هكذا دائمًا حتى أنال رضاك وإعجابك. قد لا أحس أنا بكل ذلك ولكن المهم ما تحسه أنت، فهذا هو المهم عندى. وشكرًا للصديق الذى صنع لك برواز الصورة، وللفنان الذى أخرج لوحة الطائر الحزين.. إنه فنان أصيل يستحق كل تقدير.

الجميع يبعثون لك تمنياتهم، ولك تمنياتى وقبلاتى وأشواقى.

«عنايات»

خطابى الثلاثون

سجن الواحات فى ١٩٦٤/٣/٦

زوجتى الحبيبة:

خطابك بتاريخ ٢/٢٨ وصلنى وأثَّر في نفسى تأثيرًا جميلاً، لا أخفيك أنى سعدت بكلماتك عن قصيدة «الطائر الحزين» وإن كنت أعتقد أنك تجاملينني بعض الشىء. ولكن على أى حال أخيرًا استطاعت كلماتى أن تشعرك بهذا الألم المقدس الذى أعانيه فى محراب حبك، وأفلحت الصيدة بكلماتها المركزة ومشاعرها المكثفة أن تلفت نظرك وأن تدخل إلى قلبك ما تسمينه بالمشاعر الغريبة، ويكفينى هذا لأن أشعر باعتزاز خاص نحوها. سعدت أيضًا بتقدير سميحة لكلماتها.

أما عن نشاطى الثقافى هنا فما زال مستمرًا.. لدينا مجلة مسرح هنا هى (مجلة حائط) تصدر مرتين فى الأسبوع. وقد كتبت مقالين فيها أخيرًا أحدهما بعنوان «حكاية البضاعة المستوردة» وهو رد على مقالات يوسف إدريس عن المسرح فى مجلة الكاتب، والآخر بعنوان «لويس عوض يزيف بريخت» وهو رد على المقال الثالث للويس عوض فى ملحق الأهرام عن مسرحية «القاعدة والاستثناء». لبريخت. وقد أعددت دراسة عن «الوضع فى العراق» سوف أقرؤها اليوم فى المجلة السياسية التى نصدرها كل يوم جمعة. وغير ذلك أواصل قراءاتى عن المنطق فى الكتب التى جمعتها لهذا الغرض.

إننى أتابع مثلك كل يوم جمعة برنامج د. حسين فوزى فى الموسيقى فى البرنامج الثانى، سمعت «لالو» مثلك ثم سمعت زباعيات موزار فى الأسبوع الماضى، سأحاول أن أكون معك اليوم مساء على نفس البرنامج. ما أجمل أن نكون منصتين لنفس الموسيقى فى نفس اللحظة رغم أن بيننا فى المكان مئات الأميال!

صحتى بخير، عظيمة جداً فى الواقع وذلك بفضل انقطاعى عن التدخين. والحقيقة أن صحتى لم تكن فى يوم من الأيام أفضل مما عليه الآن.. أنام ملء عيونى كل يوم ثمانى ساعات وأحلم أجمل الأحلام.. انتهى ضيق النفس وآلام الكبد، وكأن عصا سحرية قد لمستنى منذ انتهاء الدخان. إن بعض الأصدقاء يقولون إننى صغرت عشر سنوات بعد هذا الانقطاع عن التدخين! ما زلت فى انتظار قبلة خاصة على هذا الموقف وأنا أناضل ضد الدخان يا خبى ويا أملى.

«كامل»

كتبت هذا الخطاب اليوم صباحاً، ولكنه ظل مركوناً إلى المساء، فرأيت أن أضيف إليه بعض الإضافات. لقد انتهيت الآن من عمل «النوباتشية» التى تأتى لكل واحد منا مرة كل عشرة أيام، وهى تعنى غسل كل صحون الغرفة وكنس الأرض ومسحها. لقد مسحت البلاط إذن بالخيشة وغسلت وجهى وقدمى بعد ذلك، وجلست لأكتب لك هذه الإضافة عن نشاطنا المسرحى.

أنت تعلمين أن (حلاق بغداد) لألفريد فرج قد أخرجت هنا أولاً وقد تولى إخراجها صلاح حافظ قبل خروجه، ولم يكن ألفريد معنا وقت إخراجها. ثم تولى صلاح إخراج مسرحية «الخبر» هنا أيضاً، وبعد ذلك أخرج حسن فؤاد قبل الإفراج عنه مسرحية نعمان عاشور «عائلة الدوغرى»، كل هذا تم على المسرح الذى بنيناه بأيدينا وهو يسع نحو ٥٠٠ متفرج. وبعد الإفراج عن حسن فؤاد تولى محمود العالم مسئولية الإشراف عن إخراج عدد من المسرحيات، منها مسرحية «حفلة عيد ميلاد». وفى يوم زيارتك فى العيد واليوم الذى تلاه قدم محمود مسرحية «الناس اللى فوق» ولقيت نجاحاً ملحوظاً على الرغم من ضعف الإمكانيات فى الملابس والديكور. ولقد قرر محمود الدخول فى تجربة جديدة

احتفالاً بيوم المسرح العالمى (٢٧ مارس) بتقديم ثلاث مسرحيات قصيرة معًا.. واحدة لبريخت (القاعدة والاستثناء)، وأخرى للوركا (الإسكافية العجيبة)، والثالثة (الدب) لتشيكوف. أظنك تدركين مدى طموح المشروع، ومحمود يعمل مع عدد من الممثلين ليل نهار فى هذا المشروع وأرجو له التوفيق.

أما عن أخبار المسرح عندكم فنحن نتابع باهتمام المعركة المثارة حول مسرحية (الأرانب) للطفى الخولى. من الواضح أن النقاد عمومًا غير راضين عنها. وبالصدفة البحتة أتيح لى ولمحمود أن نسمع المسرحية فى (صوت العرب) ولم نعجب بها.. الموضوع ممل والفكاهة رخيصة وهى إنتاج لا يشرف.

تحياتى للجميع، وإلى لقاء قريب على صفحات الخطابات يا أمورة! وما زلت أذكر موعدنا كل مساء، فهل تذكرينه؟

«كامل»

خطابها التاسع عشر

القاهرة فى ١٣/٣/١٩٦٤

أخى العزيز:

قبلاتى وأشواقى..

وصلنى خطابك بتاريخ ٦/٣ ولاحظت أن هذه هى أول مرة تقول فيها «يا أمورة» وتنادينى بهذه الصفة. قل بصراحة: هل اكتشفت هذه الصفة أخيرًا ـ بصرف النظر عن كونها حقيقية أم لا ـ أم أن صورتى أقنعتك بذلك، أم ماذا؟!

هل يضايقك هذا الكلام؟ إنه مجرد مداعبة يا عزيزى وإن كانت لا تصل إلى مستوى مداعباتك الرقيقة الحنونة.

طبعًا يا عزيزى أذكر موعدنا كل مساء العاشرة تمامًا، وما زلت فى هذا الموعد أقابلك وأنا فى الأتوبيس. ماذا تفعل أنت يا ترى فى هذا الموعد؟.إنك لم تكتب لى أبدًا عما تفعله فى هذه الفترة من اليوم أم أنك معتاد على النوم المبكر وتنتظر هذا الموعد وأنت فى السرير؟

والآن إليك أخبارى.. مجلة «نهضة أفريقيا» ستصدر لآخر مرة بعد يومين على الأكثر، وقد بدأت بالفعل التفت إلى الرسالة التى لم يعد أمامى لإنجازها سوى شهرين فقط. كنت أحاول تدبير الوقت لأبحث عن مراجع والآن اكتشفت أنه لم تعد هناك مراجع، وأن كل ما يمكن الاستفادة منه قد أنجزته دون أن أكمل الرسالة!

نسيت أن أخبرك أنى ذهبت أزور بعض الصحفيين الأجانب فى منزلهم بالزمالك.. شقة كبيرة تشرف على النيل وتكشف مبنى التليفزيون كله، بل مدينة المقطم والقاهرة كلها. ولكنى لم أستمتع بهذا المنظر، وقد يبدو السبب غريبًا.. ففى شرفة المنزل عصفور حزين فى قفصه. إنه نوع من الكناريا الذى يجب أن يصفر ويغنى ويمرح، ولكنه لا يفعل أبدًا شيئًا من هذا كله. لا تندهش إذا قلت لك إننى شعرت بحزن شديد من أجله.وكم فكرت جديًا أن أفتح له القفص ليخرج إلى الحرية وينعم بها، ولكنى كنت أقنع نفسى بمجهود شديد لأنه ليس من حقى أن أفعل ذلك وهو ليس ملكًا لى! لا أتصور يومًا أننى أستطيع الاستمتاع بمنظر عصفور فى قفص، فكيف يمكن أن أملكه وأن أضعه فى بيتى!

إن ألمى يتجدد كل يوم عندما أتذكر صورة هذا العصفور، وهو يحاول بكل ما أوتى من قوة أن يحطم أسلاك القفص أو حتى يلويها ليستطيع الانطلاق: إن كل ذلك ليس سببه قصيدتك وإنما حزن العصفور الذى عشت معه ساعات تزيد من ألمى «للطائر الحزين» الذى أعيش معه طول يومى.

سرنى يا عزيزى أن صحتك تحسنت بعد انقطاعك عن التدخين. أما مسألة أنك صغرت عشر سنوات فأنا أرحب بها وإن كانت لا تثير اهتمامى كثيرًا، فحيويتك وذكاؤك وضحكاتك وقهقهاتك هى التى تثير اهتمامى. إنى أتابع نشاطك على البعد وأحس بفخر شديد بك.

قبلة قوية عميقة إذا كنت ما زلت ممتنعًا عن التدخين. أما إذا كان الدخان قد قهرك فإننى أنقل القبلة إلى خدك، وستكون خفيفة فيها مزيج من الغضب والعتاب.. ليس من أجلى وإنما من أجل صحتك الغالية جدًا عندى كما تعلم.

الجميع يبعثون إليك بتحياتهم وتمنياتهم، وخاصة عمتى التى تعتز بك إلى أقصى حد.

تمنياتى وقبلاتى.

«عنايات»

خطابى الحادى والثلاثون

سجن الواحات فى ١٩/٣/١٩٦٤.

زوجتى الحبيبة:

بدأت هذا الخطاب لأقول لك إننا علمنا على وجه التأكيد بأن دفعة من ٣٥ معتقلاً قد أفرج عنها يوم السبت ١٤/٣، كما تم بالأمس فى الواحات ترحيل ٣٢ من زملائنا المعتقلين إلى القاهرة مباشرة للإفراج عنهم. وقد ودعناهم وداعًا حافلاً، ويقولون هنا فى الإدارة إن دفعة أخرى (حوالى ٣٥) سوف ترحل من هنا إلى القاهرة يوم ٢٢ مارس وإن كنت لا أتوقع أن أكون ضمن هذه الدفعة. لقد بدأت العجلة تدور بسرعة فى هذه المرة، وإذا مضت بهذا المعدل فسوف أكون بينكم على أوائل مايو على أقصى تقدير!

والآن فوجئنا بالصحف المصرية تعلن أنباء إلغاء الآثار المترتبة على حالة الطوارئ والإفراج عن جميع المعتقلين الذين لم تصدر ضدهم أحكام قضائية. وقد وصلتنا الآن أنباء من الإدارة تفيد أنه سوف يفرج عنا جميعًا قبل آخر مارس!! تصورى يا أمورة! هل يُعقل أنى سأكون معك بعد أيام؟ إننى شخصيًا لا أصدق. على كل حال سوف أنتظر وأفيدك أولاً بأول بكل التطورات ولو تلغرافيًا.

قبلاتى الحارة، إننى أحبك من كل قلبى وأرجو أن تسمح لى الظروف أن أعبر لك شخصيًا عن كل حبى الصادق، وأن أعمل على إسعادك بعد كل هذا الصبر وهذه الشجاعة النبيلة.

«كامل»

خطابها الأخير

القاهرة فى ١٩٦٤/٣/٢٠

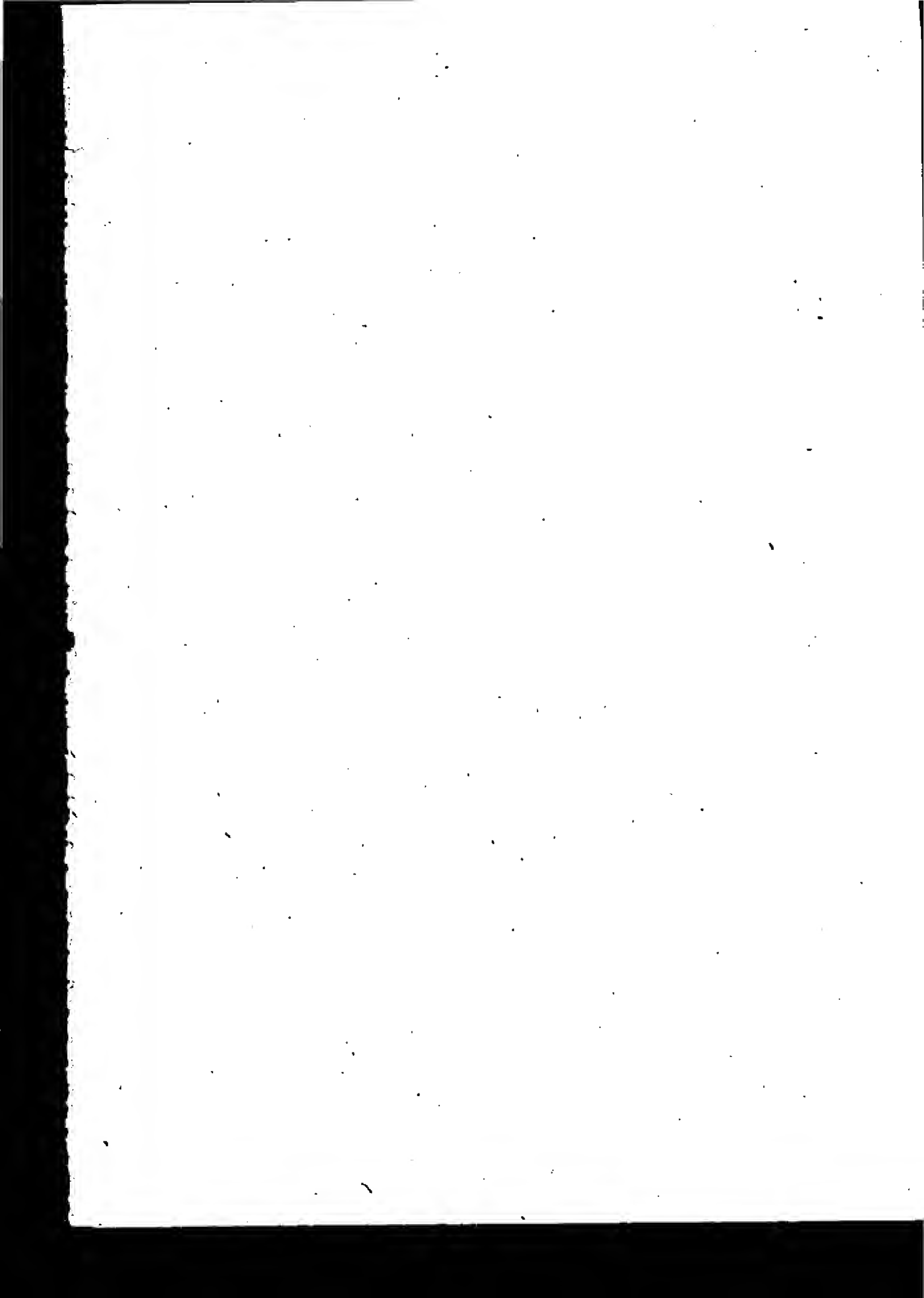
أخى العزيز:

لا أدرى إذا كان هذا الخطاب سوف يصلك أم لا.. فأنا لا أعرف شيئًا عن سرعة التغييرات الجديدة التى يمكن أن تحدث نتيجة القرارات الجديدة بإلغاء حالة الطوارئ والإفراج عن المعتقلين، والتى أذيعت بالأمس فى الصحف والإذاعة.

على أى حال يجب أن أسجل فرحتى بالنصر الأخير، وأن أحيى بتقدير وإعزاز أبطالنا. ألف مبروك، مبروك علينا وعلى شعبنا وعلى بلادنا.

وإلى لقاء قريب جدًا مع أجمل التمنيات.

«عنايات»



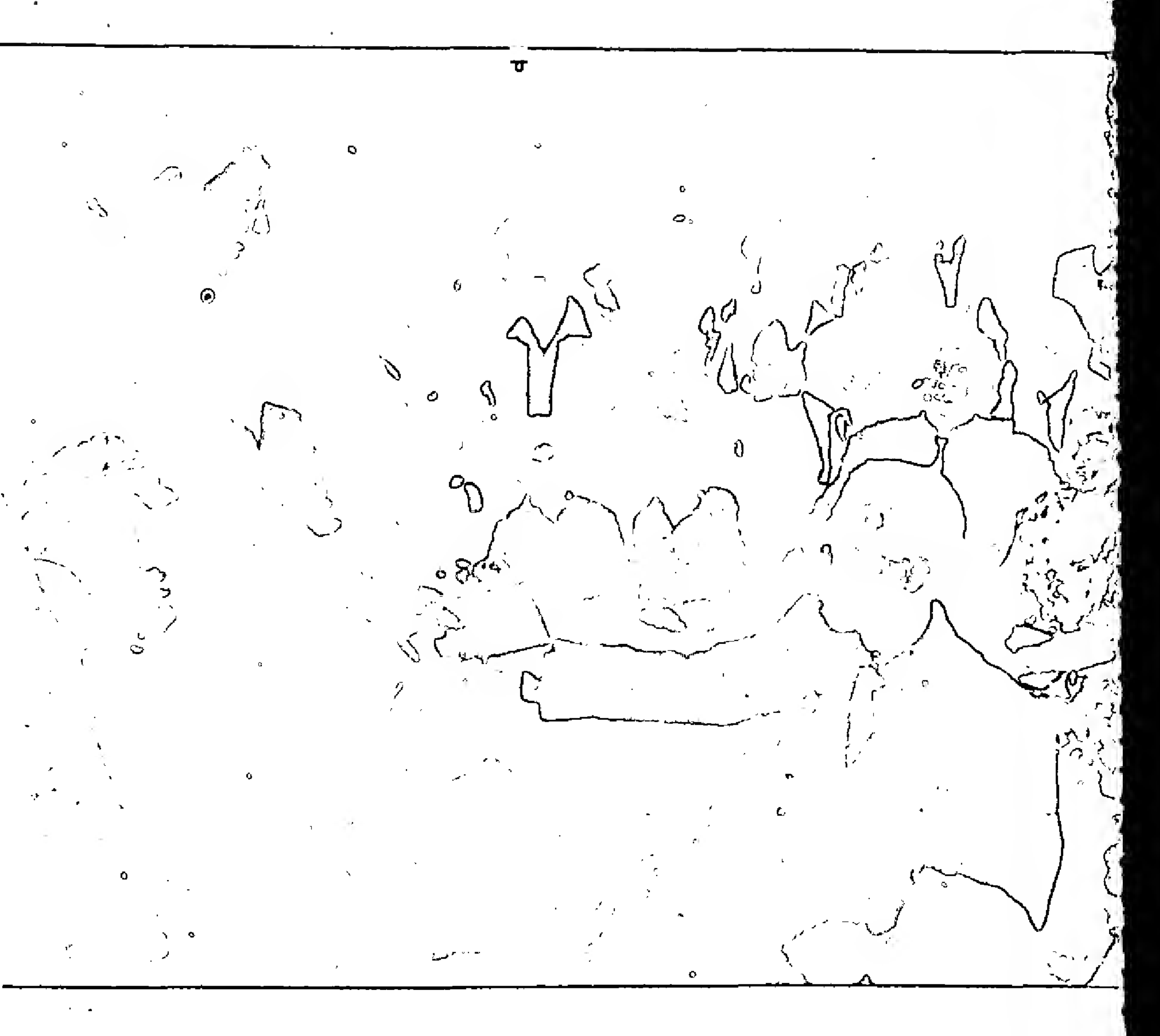
من ألبوم عايدة ثابت



عايدة ثابت طفلة صغيرة
تجلس على الأرض فى بور سعيد



عايدة ثابت تلميذة بمدرسة مصر الجديدة الثانوية



عايدة ثابت تقدم حفل صحيفة المساء ديسمبر ١٩٥٧ (بمناسبة مرور عام على إنشاء الصحيفة) وفى الصورة يظهر خالد محيى الدين.



حفل مباراة كرة قدم بين محرري جريدة المساء في نادي بنك مصر:
عايدة تجلس إلى اليمين وخلفها مباشرة الدكتور عبدالعظيم أنيس



الصورة التى أرسلتها عايدة ثابت إلى الدكتور عبد العظيم فى الواحات، وقد علق على الصورة فى خطاباته



عايدة ثابت والدكتور عبد العظيم أنيس وطفلتهما حنان وكان عمرها ستة شهور، فى منزلهم يناير ١٩٦٦.



عايدة ثابت مع حنان فى بريطانيا (١٩٧٠)



عايدة ثابت مع زوجها وابنتهما وصديق مصرى فى زيارة لمدينة يورك ببريطانيا عام ١٩٧٤



عايدة ثابت وحنان فى منطقة البحيرات ببريطانيا عام ١٩٧٤



عايدة ثابت وحنان فى نادى سبورتنج بمصر الجديدة فى أكتوبر ١٩٧٥
ويظهر معها شقيقتها وابنها .



خاتمة

بعد أيام من وصول خطابها الأخير، وبالتحديد فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٤ تم ترحيلى مع آخرين من زملائى إلى السجن الحربى بالقاهرة.. نقلنا بالسيارات إلى سجن أسيوط حيث بقينا فى فنائه عدة ساعات، وفى مساء اليوم نفسه نقلنا بالقطار إلى محطة الجيزة حيث وصلناها الساعة السابعة من صباح يوم ٤ أبريل. ومن محطة الجيزة نقلتنا سيارات وزارة الداخلية إلى السجن الحربى.

خلال ساعات الليل التى قضيناها فى قطار أسيوط ـ الجيزة حاولت أن أنام وفشلت من طول الإرهاق وشدة الانفعال.. هأنذا أعود مرة أخرى إلى زوجتى وأولادى وأهلى وشعب مصر، هأنذا أعود من جديد إلى أرض الوطن!

لكأنما كنت منفيًا خارج البلاد، رغم أننى أعلم علم اليقين أن أرض الواحات الخارجة هى جزء لا يتجزأ من أرض الوطن... لعل هذا يثبت مرة بعد مرة أن الوطن ليس هو الرمال والشجر والأرصفة والمبانى، وإنما هو الناس.. الفلاحون والعمال والطلاب المثقفون والجنود وكل من يضع لبنة فى حاضر مصر ومستقبلها!

هأنذا أعود من جديد فأشرب من ماء النيل بعد أن حرمت منه سنوات، وأمتع عينى بخضرة الوادى، وحقوله السندسية، أمتع أذنى بأصوات أولاد البلد وضحكاتهم.

أحسست فى القطار بمشاعر شديدة الشبه بمشاعرى يوم عودتى من البعثة عام ١٩٥٢، لحظة اقتراب السفينة من شاطئ بور سعيد. لم أكن أعرف واحداً من المنتظرين على الشاطئ ولكنى كنت تواقًا إلى احتضانهم جميعًا كأنما هم جميعًا أهلى وإخوتى. وعندما نزلت إلى الشاطئ وقابلنى أول حمال ابتسمت فى وجهه ابتسامة عريضة وشددت على يده مرحبًا كأنما نعرف بعضنا البعض منذ زمان طويل. وأغلب الظن أنه نظر إلىّ فى دهشة، لا يفهم لهذه التحية الحارة سببًا!

حاولت إذن أن أنام فلم أفلح، فشغلت نفسى بنظم قصيدة بالعامية تعبر عن مشاعر هذه اللحظة، يراها القارئ فى نهاية هذه الخاتمة. ودخلنا السجن الحربى حوالى الساعة التاسعة صباحًا. ألقيت نظرة على فناء السجن.. سجن ككل سجون الدنيا يبدو عاديًا فى مظهره مع أننا كنا نسمع طوال السنوات الخمس عن التعذيب الذى يجرى فى داخله ما يقشعر له البدن. ورأيت كلبين فى فناء السجن يتسكعان فى تكاسل من قلة العمل فيما يبدو!

كانت ابتسامات ضباط المباحث العامة فى انتظارنا، وشىء غير قليل من الأدب واللياقة فى المعاملة.. قالوا لنا إننا سوف نكون فى بيوتنا بعد ثلاث ساعات عندما ينتهون من ملء استمارات البيانات اللازمة وتصوير كل واحد منا!

وسألت ضابطًا لا أعرف اسمه - وإن بدا أنه يعرف اسمى - إن كان فى استطاعتى أن أتحدث مع إخوتى تليفونيًا لأخبرهم أننى بالقاهرة وأننى سأكون معهم بعد ساعات، فرحب بطلبى على الفور. وكانت الصعوبة الأولى أن أتذكر أرقام تليفونات منازل إخوتى بعد هذه الغيبة الطويلة، ولكنى تذكرت رقم تليفون شقيقتى فاطمة فى العباسية، وأدرت القرص فلم أجد ردًا. وضحك الضابط قائلاً إن أرقام تليفونات العباسية قد تغيرت خلال هذه السنوات.

حاولت أن أتصل بشقيقتى فتحية فى الدقى، وجاء صوت زوجها واضحًا يسأل: من المتكلم؟ وعندما أجبت صرخ الشيخ الكهل - كأنما مسته صاعقة - مناديًا على شقيقتى. وجرت إلى التليفون وهى تصرخ وتضحك وتزغرد وتبكى فى

آن واحد، لا تريد أن تصدق. كان من الضرورى أن أضبط عواطفى وأن أطلب منها بسرعة أن تتصل بعايدة، وأن تعرف العائلة أننى سأذهب إلى منزل شقيقتى فاطمة فى العباسية وأن عليهم أن ينتظرونى هناك. ولم أعطها فرصة أكثر من ذلك ووضعت السماعة خوفًا على نفسى من الانفعال!

ولا أعرف ما حدث بالضبط بين إخوتى بعد هذه المكالمة، ولكنى علمت بعد ذلك أن وفدًا من العائلة ظل ينتظرنى أمام الباب الأمامى للسجن الحربى من العاشرة صباحًا حتى الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم!

أما أنا فقد فتح لى ولثلاثة من زملائى - الباب الخلفى للسجن الحربى فى الساعة الرابعة بعد الظهر تمامًا وقيل لنا: انصرفوا.

وخرجت إلى دنيا الحرية.. على جسدى سترة قديمة كانت ملقاة فى مخازن سجن الواحات سنوات، وفى يدى كيس ممزق من القماش به حاجيات الحلاقة ومعجون وفرشاة أسنان وغيار داخلى وكتاب عن موسيقى الشعر وآخر فى المنطق وبعض أبحاثى القديمة فى الرياضيات، وفى جيبى ورقة بخمسة جنيهات هى كل ما أملكه فى هذه الدنيا.

ومن السجن الحربى دلفت فى دقيقة إلى طريق صلاح سالم.. شارع واسع لا أعرف عنه شيئًا لأنه أنشئ خلال غيابنا. أين أنا بالضبط فى القاهرة؟ لم أكن أدرى.. حاولت أن أوقف تاكسيًا فلم أفلح. وعندما جاء أول أتوبيس ركبت وليس فى ذهنى أية فكرة إلى أين يذهب! سألت الكمسارى: إلى أين يذهب هذا الأتوبيس؟ فنظر إلىّ شذرًا - وكأننى من أهل الكهف - وقال: أين تريد أن تذهب؟ قلت العباسية. فأجاب: نحن فى العباسية!.. أعطيته الورقة ذات الجنيهات الخمسة فنظر إلىّ فى امتعاض وقال: مفيش فكة، قلت: ليس فى جيبى مليم آخر. وبدا عليه الضيق وفى عينيه تساؤل وكأنما يقول لنفسه: من أين يأتى هؤلاء الناس! آه لو يعرف.

وتركنى يائسًا.. وجدت بعد ثلاث محطات أننى عند باب كلية الهندسة جامعة عين شمس، نعم، هذا مكان أعرفه ويعرفنى لأننى قمت بالتدريس فيه منذ

سنوات. وقفزت من الأوتوبيس فى عجلة وركبت أول تاكسى صادفته وأعطيت السائق العنوان، وبدا على السائق الدهشة.. فالمسافة صغيرة لا تستحق ركوب تاكسى، ولكنى أصررت.

وعندما ارتقيت درجات العمارة - متجاهلاً المصعد - فى سرعة وضغطت على جرس الشقة لم يكن فيها غير شقيقتى وابنة عمى وأمها. أما الباقون فكانوا هناك.. عند الباب الأمامى للسجن الحربى ينتظرون! كانت شقيقتى تنتظر عودة صبى المكوجى بالفساتين التى أرسلتها للكى فى هذه المناسبة، وذهبت ابنة عمى تفتح الباب فى تثاقل للمكوجى الصغير فوجدتنى أمامها، وإذا بها تقع على الأرض مغشيًا عليها!

ثمة لحظات شديدة القسوة من شدة الانفعال فى حياة كل إنسان، وتلك كانت إحدى هذه اللحظات فى حياتى. لست أذكر ماذا فعلتُ بالضبط ولا ماذا فعلوا وقالوا لى. ولكنى ما زلت أذكر أننى ظللت لدقائق أسمع أصواتًا غامضة متضاربة متناقضة كأننى فى حلم رهيب - لا أفسر منها شيئًا!

وعندما هدأ كل شىء عرفت أن عايدة ثابت بالإسكندرية فى زيارة لخالها، وأن أولادى - أيضًا خارج القاهرة.

لكنها عادت فى المساء، وكان لقاء.. وأى لقاء!

العودة

يجعل صباحكم نادى

يا ساكنين الوادى..

ردوا على السلام..

دا انا بانادى

خمس سنوات!

* * *

ما حضنتشى عينى النوم

ما حضنت عايدة يوم

ولا أولادي..

ولا دقت مية بلادى

ولا اتهنيت بحلم أخضر

ولا اتغطيت بتوب الود

على قد ما حبيت الناس..

* * *

أنا قلبى عصفورة مكسورة الجناحين

والبين مخربشها..

الدنيا ملهية وقلوب الناس مطوية

بليل الهم..

والدم يجرى فى جسمى

كنه ما بيجريش دم!

لكنها قامت وحامت فوق جبال المحبة

والحبة تطرح حبة تبقى مليون حبة

والدنيا تصبح شمس بتدفى

يا عيون حبيبى اللى بانت شهد متصفى

يا عاشقين النبى صلوا عليه..

* * *

الورد كان شوك من عرق النبى فتح

وأنا فتحت من ريحة عرق حبيبى

شميته فى نسمة النيل البليلة

وخضرة الغيط اللى مترامى قدامى

على الآخر..

وفرحة القطر اللى جارى على الجيزة

وضحكة الناس الغلابة

أنا قلبى يابا مليان حنية ونفسى جنية تفتحه وتشوف

حبى اللى عطشان بقى له زمان

ومكسوف..

لأهلى وأولادى

بلدى وأصحابى وأرض أجدادى

وبنت مستنية بالحنة فى إيديها

والحنية في عينيها..

وعنية من حبها بتقول كلام ليها

ما جريش على فم

راحت ليالى الهم

وهلت ليالينا..

***

الخطاب الأخير

أختتم تلك الرسائل بخطاب أرسلته عايدة ثابت لى وأنا فى الدنمارك فى أغسطس ١٩٦٥. وكانت حنان على وشك أن تولد. اخترته لأنها فيه تعبر عما أعانيه الآن.

زوجى العزيز:

وصلنى كارتك. أرجو أن تكون الأمور قد استقرت، كما أرجو ألا تحمل هم الفلوس. استمتع بوقتك وعد إلينا فى صحة جيدة راضيًا سعيدًا.

المهم إنك وحشتنى أوى. وحشتنى كلماتك الحلوة عندما توقظنى فى الصباح وتقوللى قومى بقى يا ماما، ومعك الوردة البنفسجية الجميلة. إننى أخرج كل صباح لأنظر إليها وأكتفى بذلك حتى تعود إلىّ وتقدمها لى مع قبلة الصباح.

وحشتنى ضحكاتك ومشاكساتك وجلساتنا فى البلكونة البحرية. كل شىء هنا يذكرنى بك، ولكن كل شىء يلفه الصمت.. لا أحد أتحدث معه ولا أضحك معه... إننى وحدى هكذا دائمًا حتى تعود إلى.

«عايدة»

الفهرس



رسائل الحب والحزن والثورة

بالرغم من أن هذا الكتاب يضم عددًا من الرسائل المتبادلة بين الدكتورعبد العظيم أنيس وزوجته الإعلامية عايده ثابت، وبالرغم من احتواء كثير من سطورها على كلمات الحب المتبادلة بينهما، إلا أنه كتاب سياسى وفكرى من طراز فريد، فهو يحكى - من خلال هذه الرسائل - تاريخ حقبة من أكثر الحقب سخونة فى تاريخنا الحديث. إنها السنوات الواقعة بين تاريخي ١٩٥٩و ١٩٦٤، وهى الفترة التى اعتقل فيها الدكتور عبد العظيم أنيس مع مئات الشيوعيين المصريين، ومن خلف قضبان المعتقلات المختلفة فى القلعة والواحات الخارجة وأبو زعبل، كان يرسل ويستقبل هذه الرسائل، التى سنعرف من خلالها ما تعرض له الشيوعيون المصريون الشرفاء على يد جهاز المباحث العامة، وضباط مصلحة السجون من أشكال التعذيب الجماعى المختلفة، التى شهدت واقعة استشهاد المناضل الأكثر شهرة شهدى عطية، كما سيتابع القارئ وهو يقرأ سطور هذه الخطابات ما يمكن أن يسمى باليوميات، وسيعرف كيف استطاع السجناء المثقفون بناء مسرح فى الهواء الطلق قدموا عليه عددًا من المسرحيات الشهيرة، وكيف كونوا فرقًا رياضية لكرة القدم وكرة السلة وأقاموا لها المسابقات.

كتاب ممتع لمفكر رائد، يخلط ببراعة وسهولة بين ما هو شخصانى، وما هو عام ليقدم لنا كتابًا أقرب فى لغته إلى لغة السرد، وأدنى فى أسلوبه إلى أسلوب الحكى المبسط.

غلاف: هبه حلمى

ISBN# 9789772071210

6 221149 023451

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١ جنيها